أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

## سورة الحشر

مدنية وآياتها ٢٤ نزلت بعد البينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ

---

كفاراً ، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد ، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزير بن عمير يوم أحد ، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقعد . وقيل إن الآية نزلت فى حاطب حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأحسن أنها على العموم ، وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد (يوادون) هذه مفاعلة من المودة فتقتضى أن المودة من الجهتين (من حاد الله) أى عاداه وخالفه (كتب فى قلوبهم الإيمان) أى أثبته فيها كأنه مكتوب (وأيدهم بروح منه) أى بلطف وهدى وتوفيق وقيل بالقرآن ، وقيل بجبريل (أولئك حزب الله) هذه فى مقابلة قوله أولئك حزب الشيطان ، والحزب هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه

## سورة الحشر

نزلت هذه السورة فى يهود بنى النضير وكانوا فى حصون بمقربة من المدينة ، وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ، فأرادوا غدره فأطلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا فى البلاد (هو الذى أخرج الذين كفروا) يعنى بنى النضير (لأول الحشر) فى معناه أربعة أقوال : أحدها أنه حشر القيامة أى خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره ، وروى فى هذا المعنى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم امضوا هذا أول الحشر ، وأنا على الأثر . الثانى أن المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام ، وذلك أن أكثر بنى النضير خرجوا إلى الشام ، وقد جاء فى الأثر أن حشر القيامة إلى أرض الشام ، وروى فى هذا المعنى أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لبنى النضير اخرجوا قالوا إلى أين ؟ قال إلى أرض المحشر . الثالث أن المراد الحشر فى الدنيا الذى هو الجلاء والإخراج ، فإخراجهم من حصونهم أول الحشر ، وإخراج أهل خيبر آخره . الرابع أن معناه إخراجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقال الزمخشرى اللام فى قوله لأول بمعنى عند كقولك جئت لوقت كذا (ما ظننتم أن يخرجوا) يعنى لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم (فأتاهم الله) عبارة عن أخذ الله لهم (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) أما إخراب المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها ، وأسند

فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ۞ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۞ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ

---

ذلك إلى الكفار فى قوله يخربون لأنه كان بسبب كفرهم وعذرهم ، وأما إخراب الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد : أحدها حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ماخربه المسلمون من الأسوار ، والثانى ليحملوا معهم ماأعجبهم من الخشب والسوارى وغير ذلك . الثالث أن لاتبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموها شحا عليها (فاعتبروا ياأولى الأبصار) استدل الذين أثبتوا القياس فى الفقه بهذه الآية واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها ( ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ) الجلاء هو الخروج عن الوطن ، فالمعنى لولا أن كتب الله على بنى النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم فى الدنيا بالسيف كما فعل بإخوانهم بنى قريظة ، ولهم مع ذلك عذاب النار (شاقوا) ذكر فى الأنفال ( ماقطعتم من لينة ) اللينة هى النخلة وقيل هى الكريمة من النخل ، وقيل النخلة التى ليست بعجوة ، وقيل ألوان النخل المختلط ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على حصون بنى النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه فقال بنو النضير ماهذا إلا فساد يامحمد وأنت تنهى عن الفساد ، فنزلت الآية معلمة أن كل ماجرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين فى ذلك (ليخزى الفاسقين) يعنى بنى النضير ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب ، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها ، واختلف العلماء فى قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم فأجازه الجمهور لهذه الآية ، ولإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم على تحريق نخل بنى النضير ، وكرهه قوم لوصية أبى بكر الصديق رضى الله عنه الجيش الذى وجهه إلى الشام أن لايقطعوا شجرا مثمرا ( وماأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب) معنى أفاء الله : جعله فيئا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأوجفتم من الوجيف وهو سرعة السير ، والركاب هى الإبل ، والمعنى أن ماأعطى الله رسوله من أموال بنى النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل ولا تعبوا فيه ولاحصلوه بقتال ولكن حصل بتسليط رسوله صلى الله عليه وسلم على بنى النضير ، فأعلم الله من هذه الآية أن ماأخذ من بنى النضير وما أخذه من فدك : فهو فىء خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم يفعل فيه مايشاء ، لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فهما بخلاف الغنيمة التى تؤخذ بالقتال فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لنفسه من أموال بنى النضير قوت عياله وقسم سائرها فى المهاجرين ، ولم يعط الأنصار منها شيئا غير أن أبادجانة وسهل بن حنيف شكوا فاقة فأعطاهما رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منها سهما ، هذا قول جماعة ، وقال عمر بن الخطاب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ينفق منها على أهله نفقة سنة ومابقى جعله فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله وقال قوم من العلماء وكذلك كل مافتحه الأئمة مما لم يوجف عليه فهو لهم خاصة يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه فى مصالح المسلمين

أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۞ لِلْفُقَرَاءِ

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله والرسول) الآية اضطرب الناس فى تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابا عظيما فإن ظاهرها أن الأموال التى تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول ومن ذكر بعد ذلك ولا يخرج منها خمس ، ولا تقسم على من حضر الوقيعة وذلك يعارض ماورد فى الأنفال من إخراج الخمس ، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الوقيعة فقال بعضهم إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال وهذا خطأ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة وقال بعضهم إن آية الأنفال فى الأموال التى تغنم ماعدا الأرض ، وأن هذه الآية فى أرض الكفار قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين ، وهذا التخصيص لادليل عليه وقيل غير ذلك ، والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال ، فإن آية الأنفال فى حكم الغنيمة التى تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب ، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين ، وأما هذه الآية ففى حكم الفىء وهو مايؤخذ من أموال الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب ، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين فى معنى غير معنى الأخرى ولها حكم غير حكم الأخرى فلا تعارض بينهما ولا نسخ ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفىء وفى الأنفال لفظ الغنيمة وقد تقرر فى الفقه الفرق بين الفىء والغنيمة ، وأن حكمهما مختلف ، قاله أبو محمد بن الفرس : وهو قول الجمهور وبه قال مالك وجميع أصحابه وهو أظهر الأقوال وأما فعل عمر فى أرض مصر والعراق ، فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين بقوله تعالى « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى » يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بنى النضير ، ولكنه حذف هذا لقوله فى الآية قبل هذا فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ، فاستغنى بذكر ذلك أولا عن ذكره ثانيا ولذلك لم تدخل الواو العاطفة فى هذه الجملة لأنها من تمام الأولى فهى غير أجنبية منها فإنه بين فى الآية الأولى حكم أموال بنى النضير ، وبين فى هذه الآية حكم ماكان مثلها من أموال غيرهم على العموم ، ويصرف الفىء فيما يصرف فيه خمس الغنائم لأن الله سوى بينهما فى قوله لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقد ذكرنا ذلك فى الأنفال فأغنى عن إعادته وقد ذكرنا فى الأنفال معنى قوله لله وللرسول وما بعد ذلك (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أى كيلا يكون الفىء الذى أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم أموال بنى النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء ، ولم يعط الأنصار منها شيئا فإنهم كانوا أغنياء فقال بعض الأنصار لنا سهمنا من هذا الفىء فأنزل الله هذه الآية ، والدولة بالضم والفتح مايدول الإنسان أى يدور عليه من الخير ، ويحتمل أن يكون من المداولة أى كى لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شىء (وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا) نزلت بسبب الفىء المذكور : أى ما أتاكم الرسول من الفىء فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا ، فكأنها أمر المهاجرين بأخذ الفىء ونهى للأنصار عنه ، ولفظ الآية مع ذلك عام فى أوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو نواهيه ، ولذلك استدل بها عبد الله بن مسعود على المنع من لبس المحرم المخيط ولعن الواشمة

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا

---

والواصلة فى القرآن لورود ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (للفقراء) هذا بدل من قوله لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ليبين بذلك أن المراد المهاجرين ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم (والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم) هم الأنصار والدار هى المدينة لأنها كانت بلدهم والضمير فى قبلهم للمهاجرين ، فإن قيل كيف قال تبوؤا الدار والإيمان وإنما تتبوأ الدار أى تسكن ولا يتبوأ الإيمان ؟ فالجواب من وجهين : الأول أن معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقولك : فعلفتها تبنا وماء باردا : تقديره : علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا ، الثانى أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كانه موطن لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك . فإن قيل : قوله من قبلهم يقتضى أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان ، فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم ، وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل ، لأن أكثر المهاجرين أسلم قبل الأنصار . فالجواب من وجهين : أحدهما أنه أراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم ، والآخر أنه أراد تبوؤا الدار مع الإيمان معا أى جمعوا بين الحالتين قبل المهاجرين ، لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوئ الدار فيكون الإيمان على هذا مفعولا معه ، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال وعن السؤال الأول ، فإنه إذا كان الإيمان مفعولا معه لم يلزم السؤال الأول ، إذ لا يلزم إلا إذا كان الإيمان معطوفا على الدار (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) قيل إن الحاجة هنا بمعنى الحسد ، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتجاج على أصلها والضمير فى يجدون للأنصار ، وفى أوتوا للمهاجرين ، والمعنى أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفىء وغيره ، ولا يجدون فى صدورهم شيئاً بسبب ذلك (ويؤثرون على أنفسهم) أى يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا فى غاية الاحتياج والخصاصة هى الفاقة ، وروى أن سبب هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه فقالوا بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة ، وروى أيضا أن سببها أن رجلا من الأنصار أضاف رجلا من المهاجرين فذهب الأنصارى بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته والله ماعندنا إلا قوت الصبيان فقال لها نومى صبيانك وأطفئى السراج ، وقدمى ماعندك للضيف ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل ففعلا ذلك فلما غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) شح النفس هو البخل والطمع وفى هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك ، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم وبأنهم لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتى

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۞ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۞ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۞ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ كَمَثَلِ الشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ اكْفُرْ فَلَمَّا

---

المهاجرون وأنهم يحبون المهاجرين (والذين جاؤا من بعدهم) هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل فالمعنى أن الفيء للمهاجرين والأنصار ولهؤلاء الذين جاءوا من بعدهم ويعني بهم الفرقة الثالثة من الصحابة وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة وقيل يعني من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة وعلى هذا حملها مالك فقال إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلا حظ له في الغنيمة والفيء ، لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله (ألم تر إلى الذين نافقوا) الآية : نزلت في عبد الله ابن أبيّ بن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بني النضير ، وقالوا لهم اثبتوا في حصونكم فإنا معكم كيف ما تقلبت حالكم ( ولا نطيع فيكم أحداً أبداً) أي لا نسمع فيكم قول قائل ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها ، فإن قيل : كيف قال لئن نصروهم ليولن الأدبار بعد قوله لا ينصرونهم ؟ فالجواب : أن المعنى على الفرض والتقدير أي لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ) الرهبة هي الخوف ، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) أي لا يقدرون على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم ( بأسهم بينهم شديد) يعني عداوة بعضهم لبعض (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أي تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أي هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير فكانوا أمثالهم وقيل يعني أهل بدر الكفار ، فإنهم قبلهم ومثلاهم في أن غلبوا وقهروا والأول أرجح لأن قوله قريبا يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة وذلك أوقع على بني قينقاع وأيضا فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق لأنهم يهود مثلهم ، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم وذلك هو المراد بقوله «ذاقوا وبال أمرهم» وقريبا ظرف زمان (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) مثل الله المنافقين الذين أغووا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان فإنه يغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه والمراد بالشيطان والإنسان هنا الجنس ، وقيل أراد الشيطان الذي أغوى قريشا يوم بدر وقال لهم إني جار لكم ، وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد ، فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان

كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا
ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞
وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۞ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ
ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۞ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۞
هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞

---

الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين مافعل فتعرض له الشيطان قال له اسجدلى أنجيك فسجدله فتركه الشيطان وقال له إنى برىء منك وهذا ضعيف فى النقل ، والأول أرجح (فكان عاقبتهما أنهما فى النار) الضميران يعودان على الشيطان والإنسان ، وفى ذلك تمثيل للمنافقين واليهود (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) هذا أمر بأن تنظر كل نفس ماقدمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات ، وإنما عبر عن يوم القيامة بغد تقريبا له لأن كل ماهو آت قريب ، فإن قيل : لم كرر الأمر بالتقوى ؟ فالجواب من وجهين : أحدهما أنه تأكيد ، والآخر وهو الأحسن أنه أمر أولا بالتقوى استعدادا ليوم القيامة ، ثم أمر به ثانيا لأن الله خبير بما يعملون ، فلما اختلف الموجبات كرره مع كل واحد منهما (ولاتكونوا كالذين نسوا الله) يعنى الكفار والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الغفلة أى نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل) الآية : توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن فما ظنك بابن آدم (عالم الغيب والشهادة) أى يعلم ماغاب عن المخلوقين وماشاهدوه وقيل الغيب الآخرة والشهادة الدنيا ، والعموم أحسن (القدوس) مشتق من التقديس ، وهو التنزه عن صفات المخلوقين وعن كل نقص وعيب وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح (السلام) فى معناه قولان : أحدهما الذى سلم عباده من الجور ، والآخر السليم من النقائص ، وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة أو على حذف مضاف تقديره ذو السلام (المؤمن) فيه قولان : أحدهما أنه من الأمن أى الذى أمن عباده ، والآخر أنه من الإيمان أى المصدق لعباده فى إيمانهم أوفى شهادتهم على الناس يوم القيامة أو المصدق نفسه فى أقواله (المهيمن) فى معناه ثلاثة أقوال الرقيب والشاهد والأمين ، قال الزمخشرى أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء (الجبار) فى معناه قولان : أحدهما أنه من الإجبار بمعنى القهر ، والآخر أنه من الجبر أى يجبر عباده برحمته ، والأول أظهر (المتكبر) أى الذى له التكبر حقا (البارئ) أى الخالق يقال أبرأ الله الخلق أى خلقهم

## سـورة الممتحنة

مدنية وآياتها ١٣ نزلت بعـد الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ

ولكن البارئ والفاطر يراد بهما الذى برأ الخلق واخترعه (المصور) أى خالق الصور (له الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة ، قال المؤلف قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبى عبدالله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك فقلت له ولم ذلك ، قال لأنى قرأت على القاضى أبى على بن أبى الأحوص فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود قال قرأت على النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر قال لى ضع يدك على رأسك قلت ولم ذاك يارسول الله فداك أبى وأمى ، قال أقرأنى جبريل القرآن فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر ، قال لى ضع يدك على رأسك يامحمد قلت ولم ذاك قال إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها فقالت ياربنا ولم ذاك قال إنه شفاء من كل داء إلا السام ، والسام الموت

## سـورة الممتحنة

(لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) العدو يطلق على الواحد والجماعة ، والمراد به هنا كفار قريش وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورى عن ذلك بخيبر فشاع فى الناس أنه خارج إلى خيبر وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة منهم حاطب فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة فجاء الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من السماء فبعث على بن أبى طالب والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها أخرجى الكتاب فقالت مامعى كتاب ففتشوا جميع رحلها فما وجدوا شيئا فقال بعضهم ما معها كتاب فقال علىّ بن أبى طالب ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذب الله ، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك قالت أعرضوا عنى فأخرجته من قرون رأسها ، وقيل أخرجته من حجزتها فجاؤا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحاطب من كتب هذا قال أنا يارسول الله ولكن لا تعجل علىّ فوالله مافعلت ذلك ارتداداً عن دينى ولا رغبة فى الكفر ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ، ولم أكن من أنفسها فأحببت أن تكون لى عندهم يد يرعون بها فى قرابتى ، فقال عمر بن الخطاب دعنى يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق حاطب إنه من أهل بدر ، وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم لا تقولوا لحاطب إلا خيرا فنزلت الآية عتابا لحاطب وزجرا عن أن يفعل أحد مثل فعله ، وفيها مع ذلك تشريف له ، لأن الله شهد له بالإيمان فى قوله ياأيها الذين آمنوا (تلقون إليهم بالمودة) عبارة عن إيصال المودة إليهم وألقى يتعدى بحرف جر وبغير حرف جر كقوله وألقيت عليك

وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا

---

محبة منى، وهذه الجملة فى موضع الحال من الضمير فى قوله لا تتخذوا أو فى موضع الصفة لأولياء أو استئناف (وقد كفروا) حال من الضمير فى لا تتخذوا أو فى تلقون (يخرجون الرسول وإياكم) أى يخرجون الرسول ويخرجونكم يعنى إخراجهم من مكة، فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة، ومنهم من خرج إلى أرض الحبشة (أن تؤمنوا) مفعول من أجله أى يخرجونكم من أجل إيمانكم (إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى) جواب هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وهو لا تتخذوا، والتقدير إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى فلا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء وجهادا مصدر فى موضع الحال أو مفعول من أجله وكذلك ابتغاء (إن يثقفوكم) معناه إن يظفروا بكم (ووددوا لو تكفرون) أى تمنوا أن تكفروا فتكونون مثلهم، قال الزمخشرى وإنما قال ودوا بلفظ الماضى بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع لأنهم أرادوا كفركم قبل كل شىء (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم) إشارة إلى ما قصد حاطب من رعى قرابته (يوم القيامة يفصل بينكم) يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم أو من الفصل بمعنى التفريق أى يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة، وقيل إن العامل فى يوم القيامة ما قبله وذلك بعيد (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه) الأسوة هو الذى يقتدى به فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عليه السلام وبالذين معه فى عداوة الكفار والتبرئ منهم ومعنى والذين معه من آمن به من الناس، وقيل الأنبياء الذين كانوا فى عصره وقريبا من عصره، ورجح ابن عطية هذا القول بما ورد فى الحديث أن إبراهيم عليه السلام قال لزوجته ما على الأرض مؤمن بالله غيرى وغيرك (برآء) جمع برىء (كفرنا بكم) أى كذبناكم فى أقوالكم، ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض والمقاطعة لهم (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) هذا استثناء من قوله أسوة حسنة، فالمعنى اقتدوا بهم فى عداوتهم للكفار ولا تقتدوا بهم فى هذا، لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، وقيل الاستثناء من التبرى والقطيعة، والمعنى تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له (ربنا عليك توكلنا) هذا من كلام سيدنا إبراهيم عليه السلام والذين معه وهو متصل بما قبل

وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ

---

الاستثناء فهو من جملة ما أمروا أن يقتدوا به (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) فى معناه قولان: أحدهما لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأنا على الحق وهم على الباطل. والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا، لأنه دعاء لأنفسهم وأما على القول الأول فهو دعاء للكفار ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) لما أمر الله المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم فامتثلوا دلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت فى فتح مكة فإنه أسلم حينئذ سائر قريش وقيل المودة تزوج النبى صلى الله عليه وسلم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب سيد قريش، ورد ابن عطية هذا القول بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين) رخص الله للمسلمين فى مبرة من لم يقاتلهم من الكفار، واختلف فيهم على أربعة أقوال: الأول أنهم قبائل من العرب منهم خزاعة وبنو الحارث بن كعب كانوا قد صالحوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه. الثانى أنهم كانوا من كفار قريش لم يقاتلوا المسلمين ولا أخرجوهم من مكة، والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال: الثالث أنهم النساء والصبيان، وفى هذا ورد أن أسماء بنت أبى بكر الصديق قالت يارسول الله إن أمى قدمت علىّ وهى مشركة أفأصلها قال نعم صلى أمك. الرابع أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا، وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم فهم كفار قريش (ياأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) أى اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن، وقد اختلف فى هذا الامتحان على ثلاثة أقوال: أحدها أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها فى زوجها ولا لخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة، والثانى أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، والثالث أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقة، وقتل أولادهن وترك الزنا والبهتان، والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة رضى الله تعالى عنها (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) نزلت هذه الآية أثر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمين إلى الكفار، وكل من جاء

وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

مسلما من الرجال والنساء فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين وكانت المرأة التى هاجرت حينئذ أميمة بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة ، وقيل سبيعة الأسلمية ، ولما هاجرت جاء زوجها فقال يا محمد ردها علينا فإن ذلك فى الشرط الذى لنا عليك فنزلت الآية : فامتحنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يردها وأعطى مهرها لزوجها ، وقيل نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط هربت من زوجها إلى المسلمين واختلف فى الرجال هل حكمهم فى ذلك كالنساء فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم ، أو يجوز حتى الآن على قولين والأظهر الجواز لأنه إنما نسخ ذلك فى النساء (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات (وآتوهم ما أنفقوا) يعنى أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات اذا هاجرن ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصداق (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) العصم جمع عصمة أى النكاح فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر ، يعنى المشركات من عبدة الأوثان ، فالآية على هذا محكمة ، وقيل يعنى كل كافرة فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكتابيات لقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، وروى أن الآية نزلت فى امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلقها (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أى اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتى فررن إلى الكفار ، وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتى هاجرن إلى المسلمين (وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) معنى فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار هروب نساء المسلمين إلى الكفار ، والخطاب فى قوله فعاقبتم وآتوا الذين ذهبت أزواجهم للمسلمين وقوله عاقبتم ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبى أى أصبتم عقبى وهى الغنيمة أو من التعاقب على الشىء كما يتعاقب الرجلان على الدابة اذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى ، فلما كان نساء المسلمين يهربون إلى الكفار ونساء الكفار يهربون إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء وسبب الآية أنه لما قال الله واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا : قالوا الكفار لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطى صداق من هربت زوجته إلينا من المسلمين ، فأنزل الله هذه الآية الأخرى وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصداق لمن هربت زوجته إلينا من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم على قول من قال إن معنى فعاقبتم غنمتم ، وقيل من مال الفىء ، وقيل من الصدقات التى كانت تدفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه وهذه الأحكام التى تضمنتها هذه الآية ، قد ارتفعت لأنها نزلت فى قضايا معينة وهى مهادنة النبى صلى الله عليه وسلم مع مشركى العرب ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة فلا تجوز مهادنة المشركين من العرب إنما هو فى حقهم الإسلام أو السيف ، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس لأن الله قال فى المشركين اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وقال فى أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم

الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ۝

---

فى المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب ( ياأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك ) هذه البيعة بيعة النساء فى ثانى يوم الفتح على جبل الصفا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعهن بالكلام ولا تمس يده يد امرأة ورد هذا فى الحديث الصحيح عن عائشة ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لف على يده ثوبا كثيفاً ثم لمس النساء يده كذلك وقيل إنه غمس يده فى إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء ، فغمسن أيديهن فيه (ولا يأتين ببهتان) معناه عند الجمهور أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدا ليس له وكانت المرأة تلتقط الولد ، فتقول لزوجها هذا ولدى منك وإنما قال يفترينه بين أيديهن وأرجلهن لأن بطنها الذى تحمل فيه الولد بين يديها وفرجها الذى تلده به بين رجليها ، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم بأن ينسب للرجل غير ولده أو تفترى على أحد بالقول أو تكذب فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك ، وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال بين أيديهن يراد به اللسان والفم وبين الأرجل يراد به الفرج (ولا يعصينك فى معروف) أى لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهى ومن ذلك النهى عن النياحة وشق الجيوب ، ووصل الشعر وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه ، وورد فى الحديث أن النساء لما بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه المبايعة ، فقررهن على أن لا يسرقن قالت هند بنت عتبة وهى امرأة أبى سفيان بن حرب يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح ، فهل علىّ إن أخذت من ماله بغير إذنه ، فقال لها خذى مايكفيك وولدك بالمعروف فلما قررهن على أن لا يزنين ، قالت هند يارسول الله أتزنى الحرة ؟ فقال عليه الصلاة والسلام لا تزنى الحرة يعنى فى غالب المرأة ، وذلك أن الزنا فى قريش إنما كان فى الإماء فلما قال ولا يقتلن أولادهن قالت نحن ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت ببدر كبارا ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقفهن على أن لا يعصينه فى معروف قالت ماجلسنا هذا المجلس وفى أنفسنا أن نعصيك ، وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم ، لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ ، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقررت وعلمت من الشرع بالضرورة فلا حاجة إلى اشتراطها (لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود وكان بعض فقراء المسلمين يتودد إليهم ليصيبوا من أموالهم ، وقيل يعنى كفار قريش ، والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفا لليهود كقوله «غير المغضوب عليهم» (قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ) من قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود ، فمعنى يئسوا من الآخرة يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها ومن قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش ، فالمعنى يئسوا من وجود الآخرة ، وصحتها لأنهم مكذبون بها تكذيبا جزما وقوله «كما يئس الكفار من أصحاب القبور» يحتمل وجهين : أحدهما أن يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور فقوله من أصحاب

## سـورة الصف

مدنية وآياتها ١٤ نزلت بعد التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۞ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۞ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم

---

يتعلق بيئس وهو على حذف مضاف ، والآخر أن يكون من أصحاب القبور لبيان الجنس أى كما يئس الذين فى القبور من سعادة الآخرة لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها

## سـورة الحواريين

(لم تقولون مالا تفعلون) فى سببها ثلاثة أقوال أحدها قول ابن عباس أن جماعة قالوا وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية والآخر أن قوما من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم فى الغزو بما لم يفعلوا ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرا لهم والثالث أنها نزلت فى المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله يا أيها الذين آمنوا إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون ومع ذلك فحكم الآية على العموم فى زجر من يقول مالا يفعل (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) كان بعض السلف يستحى أن يعظ الناس لأجل هذه الآية ويقول أخاف من مقت الله والمقت هو البغض لريبة أو نحوها وانتصب مقتا على التمييز وأن تقولوا فاعل وقيل فاعل كبر محذوف تقديره كبر فعلكم مقتا وأن تقولوا بدل من الفاعل المحذوف أو خبر ابتداء مضمر (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) ورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التى قبلها فى شأن القتال وقال بعض الناس قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان قاله ابن عطية وهذا ضعيف خفى على قائله مقصد الآية وليس المراد نفس التراص وإنما المراد الثبوت والجد فى القتال (كأنهم بنيان مرصوص) المرصوص هو الذى يضم بعضه إلى بعض وقيل هو المعقود بالرصاص ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني) كانوا يؤذونه بسوء الكلام وبعصيانه وتنقيصه وانظر فى الأحزاب ولا تكونوا كالذين آذوا موسى (وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتقبيح لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله ولذلك أدخل قد الدالة على التحقيق (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) هذه عقوبة على الذنب بذنب وزيغ القلب هو ميله عن الحق (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل) إنما قال موسى يا قوم وقال عيسى يا بنى إسرائيل لأنه لم يكن له فيهم أب (مصدقا لما بين يدى من التوراة) معناه مذكور فى البقرة فى قوله مصدقا لما معكم (ومبشرا برسول) عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح

بالبينات قالوا هذا سحر مبين * ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدى القوم الظالمين ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون * يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله * وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين * يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين *

## سورة الجمعة

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الصف

بسم الله الرحمن الرحيم * يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم *

---

الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أتقياء أبرار (اسمه أحمد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب فلا نبى بعدى وأحمد مشتق من الحمد ويحتمل أن يكون فعلا سمى به أو يكون صفة سمى بها كأحمد ويحتمل أن يكون بمعنى حامد أو بمعنى محمود كمحمد (فلما جاءهم بالبينات) يحتمل أن يريد عيسى أو محمدا عليهما الصلاة والسلام ويؤيد الأول اتصاله بما قبله ويؤيد الثانى قوله وهو يدعى إلى الإسلام لأن الداعى إلى الإسلام هو محمد صلى الله عليه وسلم (يريدون ليطفؤا نور الله) ذكر فى براءة (تؤمنون بالله) الآية تفسير للتجارة المذكورة قال الأخفش هو عطف بيان عليها (يغفر لكم) جزم فى جواب تؤمنون لأنه بمعنى الأمر وقد قرأه ابن مسعود آمنوا وجاهدوا على الأمر لأنه يقتضى التحضيض (وأخرى تحبونها) ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره ولكم نعمة أخرى أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره ويمنحكم أخرى (نصر من الله) تفسير لأخرى فهو بدل منها (وبشر المؤمنين) قال الزمخشرى عطف على تؤمنون بالله لأنه فى معنى الأمر (كونوا أنصار الله) جمع ناصر وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج سماهم الله به وليس ذلك المراد هنا (كما قال عيسى ابن مريم) هذا التشبيه محمول على المعنى لأن ظاهره كونوا أنصار الله كقول عيسى والمعنى كونوا أنصار الله كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله وقد ذكر فى آل عمران معنى الحواريين وأنصارى إلى الله (فأصبحوا ظاهرين) قيل إنهم ظهروا بالحجة ، وقيل إنهم غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عليه السلام ، وقيل إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد صلى الله عليه وسلم

## سورة الجمعة

(القدوس) ذكر فى الحشر (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) يعنى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ،

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۚ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۚ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۚ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ

---

والأميين هم العرب ، وقد ذكر معنى الأمى فى الأعراف (وآخرين منهم) عطفا على الأميين وأراد بهؤلاء فارس وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآخرون فأخذ بيد سلمان الفارسى ، وقال لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء يعنى فارس ، وقيل هم الروم ومنهم على هذين القولين يريد به فى البشرية وفى الدين لا فى النسب وقيل هم أهل اليمن وقيل التابعون ، وقيل هم سائر المسلمين والأول أرجح لوروده فى الحديث الصحيح (لما يلحقوا بهم) أى لم يلحقوا بهم لنفى وسيلحقون وذلك أن لما الذكر الماضى القريب من الحال (ذلك فضل الله) إشارة إلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهداية الناس به (مثل الذين حملوا التوراة) يعنى اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها (ولم يحملوها) لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها ، شبههم الله بالحمار الذى يحمل الأسفار على ظهره ولم يدر ما فيها (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) يعنى اليهود الذين كذبوا سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها لأن التوراة تنطق بنبوته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة (فتمنوا الموت) ذكر فى البقرة (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) النداء للصلاة هو الأذان لها ومن فى قوله من يوم الجمعة لبيان إذا ، وتفسير له وذكر الله يراد به الخطبة والصلاة ، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل الأولى اختلف فى الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات أو واجب لظاهر الآية لأنه شرط فى السعى لها أن يكون عند الأذان والسعى واجب فالأذان واجب . الثانية كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جدار المسجد وقيل على باب المسجد وقيل كان بين يديه صلى الله عليه وآله وسلم وهو على المنبر وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا وبقى بقرطبة زمانا وهو باق فى المشرق إلى الآن قال أبو محمد بن الفرس قال مالك فى المجموعة إن هشام ابن عبد الملك هو الذى أحدث الأذان بين يديه قال وهذا دليل على أن الحديث فى ذلك ضعيف . الثالث كان الأذان للجمعة واحدا ثم زاد عثمان رضى الله عنه النداء على الزوراء ليسمع الناس واختلف الفقهاء هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة : الرابعة ، السعى فى الآية بمعنى المشى لا بمعنى الجرى وقرأ عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله وهذا تفسير للسعى فهو بخلاف السعى فى قول رسول الله

ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ

---

صلى الله تعالى عليه و آله وسلم إذا نودى للصلاة فلا تأتونها وأنتم تسعون . الخامسة ، حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذى فى الآية على الوجوب باتفاق إلا أنها لاتجب على المرأة ولاعلى الصبى ولاعلى المريض باتفاق ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور خلافا للظاهرية وتعلقوا بعموم الآية وحجة الجمهور قول رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم الجمعة واجبة على كل مسلم فى جماعة إلا أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض وحجتهم فى المسافر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يقيم الجمعة فى السفر واختلف هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا ، وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا ، والمشهور أنها لاتسقط عنه لعموم الآية ، السادسة اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة فقيل إذا زالت الشمس ، وقيل إذا أذن المؤذن وهو ظاهر الآية ، السابعة اختلف فى الموضع الذى يجب منه السعى إلى الجمعة فقيل ثلاثة أميال وهو مذهب مالك وقيل ستة أميال وقيل تجب على من كان داخل المصر ، وقيل على من سمع النداء ، وقيل على من آواه الليل إلى أهله ، الثامنة اختلف فى الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا على قولين ، والمشهور سقوطه لأن الله لم يشترطه فى الآية (وذروا البيع) أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون فى الأذان وذلك على الوجوب فيقتضى تحريم البيع واختلف فى البيع الذى يعقد فى ذلك الوقت هل يفسخ أم لا واختلف فى بيع من لاتلزمهم الجمعة من النساء والعبد هل يجوز فى ذلك الوقت أم لا والأظهر جوازه لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة ويجرى النكاح فى ذلك الوقت مجرى البيع فى المنع (فانتشروا فى الأرض) هذا الأمر للإباحة باتفاق وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية وابن الفرس (وابتغوا من فضل الله) قيل معناه طلب المعاش فالأمر على هذا الإباحة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الفضل المبتغى عيادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة وقيل هو طلب العلم وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فأقبلت عير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورا بها فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر ولم يبق معه إلا اثنى عشر رجلا قال جابر ابن عبد الله أنا أحدهم وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة واختلف فى الثانى عشرة فقيل عبد الله مسعود وقيل عمار بن ياسر وقيل إنما بقى معه صلى الله عليه وسلم ثمانية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لهؤلاء لقد كانت الحجارة سومت فى السماء على المنفضين وظاهر الآية يقتضى أن الجماعة شرط فى الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور إلا أنهم اختلفوا فى مقدار الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة فقال مالك ليس فى ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون وقال الشافعى أربعون وقال أبو حنيفة ثلاثة مع الامام وقيل اثنى عشر عدد الذين بقوا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن قيل : لم قال انفضوا إليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو ؟ فالجواب من وجهين أحدهما أنه أراد انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشرى والآخر أنه

اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

## سـورة المنافقون

مدنية وآياتها ١١ نزلت بعد الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن

---

قال ذلك تهما بالتجارة إذ كانت أهم وكانت هي سبب اللهو ولم يكن اللهو سببها قاله ابن عطية (وتركوك قائما) اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا ، وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا ، فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام ومن لم يوجبه رأى أن مافعله النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لم يكن على الوجوب ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين وقال أبو حنيفة لايجلس بين الخطبتين لظاهر الآية وذكر القيام فيها دون الجلوس ، وحجة مالك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة ) إن قيل لم قدم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب أن كل واحد من الموضعين جاء على ماينبغي فيه وذلك أن العرب تارة يبتدؤن بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك فلان يخون في الكثير والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه وتارة يبتدؤن بالأقل ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك فلان أمين ، على القليل والكثير فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه ولو عكست في كل واحد من المثالين لم يكن حسنا فإنك لو قدمت في الخيانة القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة وكذلك قوله إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها . قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها وقوله خير من اللهو ومن التجارة قدم اللهو ليبين أن ماعند الله خير من اللهو وأنه أيضا خير من التجارة التي هي أعظم منه ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن

## سـورة المنافقون

(إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله (والله يعلم إن المنافقين لكاذبون) أي كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة ، وأما قوله والله يعلم إنك لرسوله فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى ، ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون إبطال للرسالة ، فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله لرسول الله (جنة) ذكر في المجادلة (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم ، وأما قوله آمنوا ثم كفروا فيحتمل وجهين : احدهما أن يكون

يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ
يُؤْفَكُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ *
سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ
يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ

---

فيمن آمن منهم إيماناً صحيحا ثم نافق بعد ذلك ، والآخر أن يريد آمنوا فى الظاهر كقوله ، واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) يعنى أنهم حسان الصور (وإن يقولوا تسمع لقولهم) يعنى أنهم فصحاء الخطاب والضمير فى قوله وإذا رأيتهم تعجبك وفى قوله تسمع لقولهم للنبى صلى الله عليه وسلم ولكل مخاطب (كأنهم خشب مسندة) شبههم بالخشب فى قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر وقال الزمخشرى إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة بخلاف الخشب التى فى سقف أو مغروسة فى جدار فإن فيها حينئذ منفعة فالتشبيه على هذا فى عدم المنفعة ، وقيل كانوا يستندون فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فشبههم فى استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط (يحسبون كل صيحة عليهم) عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبى صلى الله عليه وسلم يأمر بقتلهم (قاتلهم الله) الدعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم (أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) أى أمالوها إعراضا واستكبارا وقصص هذه الآية ومابعدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى غزوة بنى المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه فكان ممن ازدحم عليه جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبى ابن سلول رأس المنافقين فلطم الجهجاه سنان فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا جهجاه بالمهاجرين فقال عبد الله بن أبىّ والله مامثلنا ومثل هؤلاء يعنى المهاجرين إلا كما قال الأول سمن كلبك يأكلك ثم قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه وأتباعه ويعنى بالأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه ، ثم قال لقومه إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم ، ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول فحلف أنه ماقال من ذلك شيئا وكذب زيدا فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زيد وقال لقد صدقك الله يازيد فجزى عبد الله بن أبى ابن سلول ومقته الناس ، فقيل له امض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأى وقال أمرتونى بالإسلام فأسلمت وأمرتونى بأداء زكاة مالى ففعلت ولم يبق لكم إلا أن تأمرونى أن أسجد لمحمد ثم مات عبد الله بن أبىّ بعد ذلك بقليل وأسندت هذه الأقوال التى قالها عبد الله بن أبىّ إلى ضمير الجماعة لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) روى أنه لما نزلت إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأزيدن على السبعين فلما فعل عبد الله بن أبىّ وأصحابه مافعلوا شدد الله عليهم فى هذه السورة وأخبر أنه لايغفر لهم بوجه وفى هذا نظر ، لأن هذه السورة نزلت

لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ۝ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ

## سـورة التغابن

مدنية وآياتها ١٨ نزلت بعد التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

---

فى غزوة بنى المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة ( لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) أى لا تشغلكم وذكر الله هنا على العموم فى الصلاة والدعاء والعبادة ، وقيل يعنى الصلاة المكتوبة والعموم أولى (وأنفقوا مما رزقناكم) عموم فى الزكاة وصدقة التطوع والنفقة فى الجهاد وغير ذلك ، وقيل يعنى الزكاة المفروضة والعموم أولى ( وأكن من الصالحين ) بالجزم عطف على موضع جواب الشرط ، وقرأ أبو عمرو فأكون بالنصب عطف على فأصدق

## سـورة التغابن

( هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) فى تأويل الآية وجهان : أحدهما الذى خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به لكن منكم من كفر ومنكم من آمن فالكفر والإيمان على هذا هو من اكتساب العبد والآخر أن المعنى هو الذى خلقكم على صنفين فمنكم من خلقه مؤمنا ومنكم من خلقه كافرا فالإيمان والكفر على هذا هو ماقضى الله على كل واحد ، والأول أظهر ، لأنه عطفه على خلقكم بالفاء يقتضى أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا فى أصل الخلقة (خلق السموات والأرض بالحق ) ذكر معناه فى مواضع ( وصوركم فأحسن صوركم ) تعديد نعمة فى حسن خلقة بنى آدم لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر فلا يخرجه ذلك عن حسن الصورة الإنسانية وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس وقيل يعنى العقل والإدراك الذى خص به الإنسان والأول أرجح لأن الصورة إنما تطلق على الشكل ( ألم يأتكم ) خطاب لقريش وسائر الكفار

أَلِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ
حَمِيدٌ * زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ *
فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ
وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ *
مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا
ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ *
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا

---

( فقالوا أبشر يهدوننا ) معناه أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرا أو تكبروا عن اتباع بشر والبشر يقع على الواحد والجماعة (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) قال عبدالله بن عمر زعم كناية عن كذب (يوم يجمعكم) العامل فى يوم لتنبؤن أو محذوف تقديره اذكر ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره ذلك يوم التغابن يعنى يوم القيامة والتغابن مستعار من تغابن الناس فى التجارة وذلك إذا فاز السعداء بالجنة فكأنهم غبنوا الأشقياء فى منازلهم التى كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء فالتغابن على هذا بمعنى الغبن وليس على المتعارف فى صيغة تفاعل من كونه بين اثنين كقولك تضارب وتقاتل إنما هى فعل واحد كقولك تواضع قال ابن عطية وقال الزمخشرى يعنى نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء والتغابن على هذا بين اثنين قال وفيه تهكم بالأشقياء لأن نزولهم فى جهنم ليس فى الحقيقة بغبن للسعداء ( ماأصاب من مصيبة إلا بإذن الله ) يحتمل أن يريد بالمصيبة الرزايا وخصها بالذكر لأنها أهم على الناس أو يريد جميع الحوادث من خير أو شر وبإذن الله عبارة عن قضائه وإرادته تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قيل معناه من يؤمن بأن كل شىء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله وهذا أحسن إلا أن العموم أحسن منه (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ) سببها أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة فحذرهم الله من طاعتهم فى ذلك وقيل نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرق لهم ورجع ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله وإن تعفوا وتصفحوا الآية ولفظ الآية مع ذلك على عمومه فى التحذير ممن يكون للإنسان عدوا من أهله وأولاده سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا (والله عنده أجر عظيم) ترغيب فى الآخرة وتزهيد فى الأموال والأولاد التى فتن الناس بها (فاتقوا الله ما استطعتم) قيل إن هذا ناسخ لقوله اتقوا الله

وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝

## سورة الطلاق

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الإنسان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ

---

حق تقاته وروى أنه لما نزل حق تقاته شق ذلك على الناس حتى نزل ما استطعتم وقيل لا نسخ بينهما لأن حق تقاته معناه فيما استطعتم إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع وهذه الآية على هذا مبينة لتلك وتحرز بالاستطاعة من الاكراه والنسيان ومالا يؤاخذ به العبد وإعراب ما فى قوله ما استطعتم ظرفية (خيرا لأنفسكم) منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه وقيل هو مفعول بأنفقوا لأن الخير بمعنى المال وقيل هو نعت لمصدر محذوف تقديره أنفقوا إنفاقا خيرا لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه) ذكر فى الحشر ( إن تقرضوا ) ذكر فى البقرة ( والله شكور حليم ) ذكر فى اللغات

## سورة الطلاق

(يأيها النبى إذا طلقتم النساء) إن قيل لم نودى النبى صلى الله عليه وسلم وحده ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة ؟ فالجواب : أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمته ، قيل إذا طلقتم خطاباً له ولهم وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنداء تعظيما له ، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا أى افعل أنت وقومك ، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لأمته ، فكأنه قال يأيها النبى إذا طلقت أنت وأمتك وقيل تقديره يأيها النبى قل لأمتك إذا طلقتم وهذا ضعيف لأنه يقتضى أن هذا الحكم مختص بأمته دونه ، وقيل إنه خوطب النبى صلى الله عليه وآله وسلم بطلقتم تعظيما له ، كما تقول للرجل المعظم أنتم فعلتم ، وهذا أيضا ضعيف ، لأنه يقتضى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته ، ومعنى إذا طلقتم هنا إذا أردتم الطلاق ، واختلف فى الطلاق هل هو مباح أو مكروه ، فأما إذا كان على غير وجه السنة فهو ممنوع ولكن يلزم ، وأما اليمين بالطلاق فممنوع (فطلقوهن لعدتهن) تقديره طلقوهن مستقبلات لعدتهن ، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبى بن كعب فطلقوهن فى قبل عدتهن وقرأ ابن عمر لقبل عدتهن ورويت القراءتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك كله لا يطلقها وهى حائض ، فهو منهى عنه بإجماع لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه فى الحال التى أمر الله بها وهو استقبال العدة ، واختلف فى النهى عن الطلاق فى الحيض هل هو معلل بتطويل العدة ، أو هو تعبد ، والصحيح أنه معلل بذلك ، وينبنى على هذا الخلاف فروع منها : هل يجوز إذا رضيت به المرأة أم لا ؟ ومنها هل يجوز طلاقها فى الحيض وهى حامل أم لا ؟ ومنها هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهى حائض أم لا ؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضى جواز هذه الفروع ، والتعبد يقتضى المنع ، ومن طلق فى الحيض لزمه الطلاق ، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإجبار عند مالك

رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ

---

وبدون إجبار عند الشافعي حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك ، حسبما ورد في حديث ابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسها فيه ليعتد بذلك الطهر فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقا لعدتها كما أمر الله (وأحصوا العدة) أمر بذلك لما ينبني عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه ونهاها هي أن تخرج باختيارها ، فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف ، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة ، فإن كان المسكن ملكا للزوج ، أو مكترى عنده ، لزمه إسكانها فيه ، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب والصحيح لزومه لأن الامتناع قد انقطع بالطلاق ( إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي ؟ على خمسة أقوال الأول أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبي . الثاني أنه سوء الكلام مع الأصهار فتخرج ويسقط حقها من السكنى ، ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب ، قاله ابن عباس ويؤيده قراءة أبي بن كعب ، إلا أن يفحشن عليكم . الثالث أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك ، فمتى فعلت شيئا من ذلك سقط حقها في السكنى ، قاله ابن عباس أيضا وإليه مال الطبري الرابع أنه الخروج عن بيتها خروج . انتقال فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى قاله ابن الفرس : وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة ، الخامس أنه النشوز قبل الطلاق ، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتادة (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) المراد به الرجعة عند الجمهور أي أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم ، وقيل إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطليق النبي صلى الله عليه وسلم لحفصة بنت عمر فأمره الله بمراجعتها ( فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) يريد آخر العدة والإمساك بمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة ، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق والوفاء بالشروط ونحو ذلك (وأشهدوا ذوي عدل منكم) هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور ، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين في المذهب وقال ابن عباس هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة ، وهذا أظهر لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق ، وقد ذكرنا العدالة في البقرة وقوله ذوي عدل يدل على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء وهو مذهب مالك خلافا لمن أجاز شهادة النساء في ذلك وقوله منكم يريد من المسلمين وقيل من الأحرار فيؤخذ من ذلك رد

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا * وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ

---

شهادة العبيد ، وهو مذهب مالك ( وأقيموا الشهادة لله) هذا خطاب للشهود وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد بها القيام فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد وهو فرض كفاية ، وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولاغرض ، وبهذا فسره الزمخشري وهو أظهر لقوله لله وهو كقوله « كونوا قوامين بالقسط » شهداء لله (ذلكم) إشارة إلى ماتقدم من الأحكام (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) قيل إنها فى الطلاق ومعناها من يتق الله فيطلق طلقة واحدة ، حسبما تقتضيه السنة ، يجعل له مخرجا بجواز الرجعة متى قدم على الطلاق وفى هذا المعنى روى عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثا إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك ولا أرى لك مخرجا أى لارجعة لك وقيل إنها على العموم أى من يتق الله فى أقواله وأفعاله يجعل له مخرجا من كرب الدنيا والآخرة ، وقد روى هذا أيضا عن ابن عباس وهذا أرجح لخمسة أوجه أحدها حمل اللفظ على عمومه فيدخل فى ذلك الطلاق وغيره ، الثانى أنه روى أنها نزلت فى عوف بن مالك الأشجعى وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بالتقوى فلم يلبث إلا يسيرا وانطلق ولده ووسع الله رزقه ، والثالث أنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة والرابع روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم « ومن يتق الله يجعل له مخرجا » الآية : فمازال يقرؤها ويعيدها الخامس قوله ويرزقه من حيث لايحتسب ، فإن هذا لا يناسب الطلاق وإنما يناسب التقوى على العموم قال بعض العلماء الرزق على نوعين رزق مضمون لكل حى طول عمره وهو الغذاء الذى تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله ، ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ورزق موعود المتقين خاصة ، وهو المذكور فى هذه الآية (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه بحيث لايحتاج معه إلى غيره وقد تكلمنا على التوكل فى آل عمران (إن الله بالغ أمره) أى يبلغ مايريد ولا يعجزه شىء ، هذا حض على التوكل وتأكيد له ، لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده ولم يعول على سواه ( قد جعل الله لكل شىء قدرا ) أى مقدارا معلوما ووقتا محدودا (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) روى أنه لما نزل قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قالوا يارسول الله فما عدة من لاقرء لها من صغر أو كبر فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لاتحيض فعدتها ثلاثة أشهر فقوله اللائى يئسن من المحيض : يعنى التى انقطعت حيضتها لكبر سنها وقوله (واللائى لم يحضن) يعنى الصغيرة التى لم تبلغ المحيض وهو معطوف على اللائى يئسن أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره واللائى لم يحضن كذلك وقوله (إن ارتبتم ) هو من الريب بمعنى الشك وفى معناه قولان أحدهما إن ارتبتم فى حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر والآخر إن ارتبتم فى حيضها هل انقطع أو لم ينقطع فهى على التأويل الأول فى التى انقطعت حيضتها لكبر سنها حسبما ذكرنا وهو الصحيح وهى

أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا * أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ

---

على التأويل الثانى فى المرتابة وهى التى غابت عنها الحيضة وهى فى سن من تحيض وقد اختلف العلماء فى عدتها على ثلاثة أقوال أحدها أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل ، والآخر أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه والثالث أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض وهو مذهب الشافعى وأبى حنيفة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) هذه الآية عند مالك والشافعى وأبى حنيفة وسائر العلماء عامة فى المطلقات والمتوفى عنهن فمتى كانت إحداهن حاملا فعدتها وضع حملها وقال على بن أبى طالب وابن عباس إنما هذه الآية فى المطلقات الحوامل فهن اللاتى عدتهن وضع حملهن وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فعدتها عندهما أبعد الأجلين إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرا فحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت زوجا لسعد بن خولة فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حبلى فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها انكحى من شئت وقد ذكر أن ابن عباس رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ عليا رضى الله عنه لرجع إليه وقال عبد الله بن مسعود إن هذه الآية التى نزلت فى سورة النساء القصرى يعنى سورة الطلاق نزلت بعد الآية التى فى البقرة «والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا» فهى مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء (أسكنوهن من حيث سكنتم) أمر الله بإسكان المطلقة طول العدة فأما المطلقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق ، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال. أحدها أنها يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعى ، والثانى يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبى حنيفة ، والثالث أنها ليس لها سكنى ولا نفقة ، فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس وهو أن زوجها طلقها البتة ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك عليه نفقة ، فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة ، وحجة من أوجب لها السكنى : قول عمر بن الخطاب : لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لها السكنى والنفقة ، وحجة من لا يجعل لها لا سكنى ولا نفقة أن فى بعض الروايات عنها أنها قالت لم يجعل لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفقة ولا سكنى ، وقوله (من حيث سكنتم) معناه : أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم فمن للتبعيض ، ويفسر ذلك قول قتادة لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها فى بعض جوانبه (من وجدكم) الوجد هو الطاقة والسعة فى المال فالمعنى أسكنوهن مسكنا مما تقدرون عليه ، وإعرابه عطف بيان لقوله حيث سكنتم ويجوز فى الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها وهو بمعنى واحد ، والضم أكثر وأشهر (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) اتفق العلماء على وجوب النفقة فى العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا واتفقوا على أن للمطلقة غير الحامل النفقة فى العدة إذا كان الطلاق رجعيا فإن كان بائنا فاختلفوا فى نفقتها حسبما ذكرناه وأما

أُخْرَىٰ ۝ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا * وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَٰٓأُولِى الْأَلْبَٰبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ

---

المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات وقال قوم لها النفقة في التركة (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) المعنى إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه (وائتمروا بينكم بمعروف) هذا خطاب للرجال والنساء والمعنى أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان وقيل معنى ائتمروا تشاوروا ومنه إن الملأ يأتمرون بك (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) المعنى إن تشططت الأم على الأب في أجرة الرضاع وطلبت منه كثيرا فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج (لينفق ذو سعة من سعته) أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلف الزوج ما لا يطيق ولا تضييع الزوجة بل يكون الحال معتدلا وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافا لأبي حنيفة وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب (فحاسبناها حسابا شديدا) أي حاسبنا أهلها قيل يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده وقيل يعني في الدنيا وهذا أرجح لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله ، أعد الله لهم عذابا شديدا ، أولا لأن قوله حاسبناها وعذبناها بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع فمعنى حاسبناها أي آخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها والعذاب هو عقابهم في الدنيا والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله (قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا) الذكر هنا هو القرآن والرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم وإعراب رسولا مفعول بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا وهذا الذي اختاره ابن عطية وهو أظهر الأقوال وقيل إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن والرسول على هذا بمعنى الرسالة وقيل إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره ذكرا ذا رسول وقيل رسولا مفعول بالمصدر الذي هو الذكر وقال الزمخشري الرسول هو جبريل بدل من الذكر لأنه نزل به أو سمي ذكرا لكثرة ذكره لله وهذا كله بعيد (ومن الأرض مثلهن) لا خلاف أن السموات سبع وأما الأرض فاختلف فيها فقيل إنها سبع أرضين لظاهر هذه الآية ولقوله صلى الله عليه وسلم من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين وقيل إنما هي واحدة فقوله مثلهن على القول الأول يعني به المماثلة في العدد وعلى القول الثاني يعني به المماثلة في

الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝

## سورة التحريم

مدنية وآياتها ١٢ نزلت بعد الحجرات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۝ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ

---

عظم الجرم وكثرة العار وغير ذلك والأول أرجح (يتنزل الأمر بينهن) يحتمل أن يريد بالأمر الوحى أو أحكام الله وتقديره لخلقه

## سورة التحريم

(ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) فى سبب نزولها روايتان أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يوما إلى بيت زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرت لزيارة أبيها فبعث إلى جاريته مارية فجا معها فى البيت فجاءت حفصة فقالت يا رسول الله ما كان فى نسائك أهون عليك منى أتفعل هذا فى بيتى وعلى فراشى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مترضيا لها أيرضيك أن أحرمها قالت نعم فقال إنى قد حرمتها ، والرواية الأخرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا ؛ فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها أكلت مغافير والمغافير صمغ العرفط وهو حلو كريه الريح ففعلن ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ولكنى شربت عسلا ، فقلن له جرست نحلة العرفط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا أشربه أبدا وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة فدخل بعد ذلك على زينب فقالت ألا أسقيك من ذلك : فقال لاحاجة لى به ، فنزلت الآية عتابا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية أو تحريم العسل ، والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس فى فقه السورة ، وقد خرج الرواية الثانية البخارى وغيره ولنتكلم على فقه التحريم ، فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ماعدا النساء ، فلا يلزم ولا شىء عليه عند مالك ، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة ، وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم وإن لم ينو به ذلك لم يلزم وكان حكمه ماذكرنا فى الطعام وأما تحريم الزوجة فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم إنما يلزم فيه كفارة يمين وقال مالك فى المشهور عنه ثلاث تطليقات فى المدخول بها وينوى فى غير المدخول بها فيحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث ، وقال ابن الماجشون هى ثلاث فى الوجهين وروى عن مالك أنها طلقة بائنة ، وقيل طلقة رجعية (تبتغى مرضات أزواجك) أى تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك يعنى تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة ، وهذا يدل على أنها نزلت فى تحريم الجارية وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه وإنما تركه لرائحته (والله غفور رحيم) فى هذا إشارة إلى أن الله غفر له ماعاتبه عليه من التحريم على أن عتابه فى ذلك إنما كان كرامة له وإنما وقع العتاب على تضييقه عليه السلام على نفسه وامتناعه مما كان له فيه أرب وبئس ماقال الزمخشرى فى أن هذا كان منه زلة لأنه حرم ما أحل

حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ۝ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ

---

الله وذلك قلة أدب على منصب النبوة ( قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) التحلة هى الكفارة وأحال تعالى هنا على ماذكر فى سورة المائدة من صفتها واختلف فى المراد بها هنا فأما على قول من قال إن الآية نزلت فى تحريم الجارية فاختلف فى ذلك فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدل بها ومن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفارة هنا إنما هى لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلف وقال والله لا أطؤها أبدا وأما على القول بأن الآية نزلت فى تحريم العسل فاختلف أيضا فمن أوجب فى تحريم الطعام كفارة قال هذه الكفارة للتحريم ومن قال لا كفارة فيه قال إنما هذه الكفارة لأنه حلف ألا يشربه وقيل هى فى يمينه عليه السلام أن لا يدخل على نسائه شهرا ( والله مولاكم ) يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر أو بمعنى السيد الأعظم (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا) اختلف فى هذا الحديث على ثلاثة أقوال أحدها أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال لحفصة لا تخبرى بذلك أحدا والآخر أنه قال إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده والثالث أنه قوله شربت عسلا والأول أشهر وبعض أزواجه حفصة (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه (وأعرض عن بعض) كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تحريم الجارية فأخبر الله رسوله عليه السلام بذلك فعاقب حفصة على إفشائها السره فطلقها ثم أمره الله بمراجعتها فراجعها وقيل لم يطلقها فقوله فلما نبأت به حذف المفعول وهو عائشة وقوله وأظهره الله عليه أى أطلعه على إخبارها به وقوله عرف بعضه أى عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير فى العتاب وقرئ عرف بالتخفيف من المعرفة (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) أى لما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بأنها قد أفشت سره ظنت بأن عائشة هى التى أخبرته فقالت له من أنبأك هذا فلما أخبرها أن الله هو الذى أنبأه سكتت وسلمت (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) هذا خطاب لعائشة وحفصة وتوبتهما مما جرى منهما فى قصة تحريم الجارية أو العسل ومعنى صغت أى مالت عن الصواب وقرأ ابن مسعود زاغت والمعنى إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه) المعنى إن تعاونتما عليه صلى الله عليه وسلم بما يسوؤه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك فإن له من ينصره ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره وخبر ما عطف عليه ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولى الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين ويكون الملائكة مبتدأ وظهير خبره وهذا أظهر وأرجح لوجهين : أحدهما أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم وتشريفا له ، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبى صلى الله عليه وسلم مع غيره ، لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى فليس فى ذلك إظهار مزية له ، الوجه الثانى أنه ورد فى الحديث الصحيح أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله مايشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك ، فنزلت الآية موافقة لقول عمر فقوله يقتضى معك النصرة (وصالح المؤمنين) اختلف فى صالح هل هو مفرد أو جمع محذوف النون

وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

---

الإضافة فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر، وقيل على بن أبى طالب، وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم فى كل صالح (عسى ربه إن طلقكن) الآية، نصرة للنبى صلى الله عليه وسلم، وروى أن عمر قال ذلك ونزل القرآن بموافقته ولقد قال عمر حينئذ للنبى صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله لئن أمرتنى بضرب عنق حفصة لضربت عنقها، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت، والسائحات معناه الصائمات قاله ابن عباس وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل معناه مهاجرات وقيل ذاهبات إلى الله لأن أصل السياحة الذهاب فى الأرض وقوله ثيبات وأبكارا، قال بعضهم المراد بالأبكار هنا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون فإن الله يزوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم إياهما فى الجنة وهذا يفتقر إلى نقل صحيح ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان، وقال الكوفيون هى واو الثمانية وذلك ضعيف (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) أى أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة (وقودها) ذكر فى البقرة (ملائكة غلاظ شداد) يعنى زبانية النار وغلظهم وشدتهم يحتمل أن يريد فى أجرامهم وفى قساوة قلوبهم (ويفعلون مايؤمرون) قيل إن هذا تأكيد لقوله لا يعصون الله، وقيل إن معنى لا يعصون امتثال الأمر، ومعنى يفعلون مايؤمرون جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس (لا تعتذروا اليوم) يعنى يوم القيامة، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من الله للكفار أو خطاب من الملائكة (توبة نصوحا) قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح هى أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبداً ولا تريد أن تعود وقيل معناه توبة خالصة فهو من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع، وقيل هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا قال الزمخشرى وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازى والنصح فى الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم وقد تكلمنا على التوبة فى قوله وتوبوا إلى الله جميعا: فى النور (يوم لا يخزى الله النبى) العامل فى يوم يحتمل أن يكون ماقبله أو مابعده أو محذوف تقديره اذكر، والوقف والابتداء يختلف على ذلك (والذين آمنوا) يحتمل أن يكون معطوفا على النبى أو مبتدأ وخبره بعده (نورهم يسعى) ذكر فى الحديد (جاهد الكفار والمنافقين)

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ۞ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ۞

## سورة الملك

مكية وآياتها ٣٠ نزلت بعد الطور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ

---

ذكر فى براءة (امرأة نوح وامرأة لوط) قيل اسم امرأة نوح والهة ، واسم امرأة لوط والعة ، وهذا يفتقر إلى صحة نقل ( فخانتاهما ) قال ابن عباس خيانة امرأة نوح فى أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذاقدموا عليه ، وكانتا معذلك كافرتين ، وقيل خانتا بالزنا ، وأنكر ابن عباس ذلك وقال مازنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص ، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كانه يقول لايغنى أحدعن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما وقيل هذا مثال لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم فيما ذكر فى أول السورة وهذا باطل لأن الله إنما ضربه للذين كفروا . وامرأة فرعون اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عليه السلام فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها ، فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها ، وروى فى قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح (من فرعون وعمله) تعنى كفره وظلمه ، وقيل مضاجعته لها وهذا ضعيف (أحصنت فرجها) يعنى الفرج الذى هو الجارحة وإحصانهاله هوصيانتها وعفتهاعن كل مكروه (فنفخنا فيهمن روحنا) عبارة عن نفخ جبريل فى فرجها ، فخلق الله فيه عيسى عليه السلام وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه ، وفى ذلك تشريف له (وصدقت بكلمات ربها وكتابه) كلمات ربها يحتمل أن يريد بها الكتب التى أنزل الله أوكلامه مع الملائكة وغيرهم ، وكتابه بالإفراد يحتمل أن يريدبه التوراة أوالإنجيل أوجنس الكتب وقرئ بالجمع يعنى جميع كتب الله (من القانتين) أى من العابدين ، فإن قيل : لم قال من القانتين بجمع المذكر وهى أنثى ؟ فالجواب : أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب الذكور

## سورة الملك

ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه وأنه عليه الصلاة والسلام قال إنها تنجى من عذاب القبر (تبارك) فعل مشتق من البركة ، وقيل معناه تعاظم وهو مختص بالله تعالى ولم ينطق له بمضارع (بيده الملك) يعنى ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة ، وقيل يعنى ملك المملوك فى الدنيا فهو كقوله مالك الملك والأول أعم وأعظم ( خلق الموت والحياة ) يعنى موت

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ

---

الخلق وحياتهم، وقيل الموت الدنيا لأن أهلها يموتون، والحياة الآخرة لأنها باقية فهو كقوله «وإن الدار الآخرة لهي الحيوان» وهو على هذا وصف بالمصدر والأول أظهر (ليبلوكم) أي ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه والمعنى ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم (أيكم أحسن عملا) روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأها فقال أيكم أحسن عملا وأشدكم لله خوفا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله (سبع سموات طباقا) أي بعضها فوق بعض، والطباق مصدر وصفت به السموات أو على حذف مضاف تقديره ذوات طباق وقيل إنه جمع طبقة (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي من قلة تناسب وخروج عن الإتقان، والمعنى أن خلقة السموات في غاية الإتقان وقيل أراد خلقة جميع المخلوقات ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لورودها بعد قوله خلق سبع سموات طباقا فبان قوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت بيان وتكميل ما قبله. والخطاب في قوله ما ترى وارجع البصر وما بعده للنبي صلى الله عليه وسلم أو لكل مخاطب ليعتبر (فارجع البصر هل ترى من فطور) الفطور الشقوق جمع فطر، وهو الشق وإرجاع البصر ترديده في النظر، ومعنى الآية الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل بل هي ملتئمة مستوية (ثم ارجع البصر كرتين) أي انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقق، وقال الزمخشري معنى التثنية في كرتين التكثير لا مرتين خاصة، كقولهم لبيك فإن معناه إجابات كثيرة (ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) الخاسئ هو المبعد عن الشيء الذي طلبه، والحسير هو الكليل الذي أدركه التعب فمعنى الآية أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خللا لارجع بصرك ولم ترشيئا من ذلك فكأنه خاسئ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) السماء الدنيا هي القريبة منا، والمصابيح يراد بها النجوم فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال، وإن كانت في غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا، لأنها ظاهرة فيها لنا ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها على أن القول بموضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة (وجعلناها رجوما للشياطين) أي جعلنا منها رجوما، لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين فهو كقولك أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به، قال الزمخشري معنى كون النجوم رجوما للشياطين والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها لأنها ثابتة في الفلك قال قتادة خلق الله النجوم لثلاثة أشياء زينة السماء ورجوم الشياطين ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر (وأعتدنا لهم عذاب السعير) يعني للشياطين (سمعوا لها شهيقا) الشهيق أقبح ما يكون

فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم
إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقا
لأصحاب السعير * إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير * وأسروا قولكم أو اجهروا به
إنه عليم بذات الصدور * ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير * هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا
فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور * أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا
هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير * ولقد كذب الذين
من قبلهم فكيف كان نكير * أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن

---

من صوت الحمار ويعنى به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها أو شهيق أهلها ، والأول أظهر (وهي تفور) أي تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها (تكاد تميز من الغيظ) أي تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض لشدة غيظها على الكفار ، فيحتمل أن تكون هي المغتاظة بنفسها ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية والأول أظهر لأن حال الزبانية يذكر بعد هذا وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها أو يكون عبارة عن شدتها (كلما ألقي فيها فوج) أي كلما ألقي في جهنم جماعة من الكفار سألتهم الزبانية هل جاءكم من نذير أي رسول وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم ، ولذلك اعترفوا فقالوا بلى قد جاءنا نذير ، وقوله كلما يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى في النار (إن أنتم إلا في ضلال كبير) يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار أو من قول الكفار للرسل في الدنيا (وقالوا) الضمير للكفار أي لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير (فاعترفوا بذنبهم) اعترافهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد به تكذيب الرسل (فسحقا لأصحاب السعير) انتصب فسحقا بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم (بالغيب) فيه قولان أحدهما أن معناه وهم غائبون عن الناس فني ذلك وصف لهم بالإخلاص والآخر أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها على أن هذا القول إنما يحسن في قوله يؤمنون بالغيب (وأسروا قولكم أو اجهروا به) المعنى سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر (ألا يعلم من خلق) هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء لأن الخالق يعلم مخلوقاته ويحتمل أن يكون من خلق فاعلا يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره ألا يعلم الخالق خلقه أو يكون من خلق مفعولا والفاعل مضمر تقديره ألا يعلم الله من خلق والأول أرجح لأن من خلق إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل والمعنى الأول يعم من يعقل ومن لا يعقل (الأرض ذلولا) فعول هنا بمعنى مفعول أي مذللة فهي كركوب وحلوب (فامشوا في مناكبها) قال ابن عباس هي الجبال وقيل الجوانب والنواحي وقيل الطرق والمعنى تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها بالدواب (وإليه النشور) يعني البعث يوم القيامة (أأمنتم) الآية مقصودها التهديد والتخويف للكفار وكذلك الآية التي بعدها (تمور) ذكر في الطور (حاصبا) يحتمل أن يريد حجارة أو ريحا شديدة (نذير) بمعنى الإنذار وكذلك النكير بمعنى الإنكار (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات) تنبيه

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ۞ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ۞ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۞ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۞ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ۞

---

على الاعتبار بطيران الطيور فى الهواء من غير شىء يمسكها وصافات جمع صافة وهى التى تبسط جناحها للطيران والقبض ضم الجناحين إلى الجنب وعطف يقبض على صافات لأن الفعل فى معنى الاسم تقديره قابضات فإن قيل لم لم يقل قابضات على طريقة صافات فالجواب أن بسط الجناحين هو الأصل فى الطيران كما أن مد الأطراف هو الأصل فى السباحة فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته ، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلا للاستراحة والاستعانة فذكر بلفظ الفعل لقلته (أمن هذا الذى هو جند لكم) خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم ودخلت أم التى يراد بها الإنكار على من أدغمت فيها وكذلك أمن هذا الذى يرزقكم والضمير فى أمسك لله أى من يرزقكم إن منع الله رزقه ، (بل لجوا) أى تمادوا فى العتو والنفور عن الإيمان (أفمن يمشى مكبا على وجهه) الآية توقيف على الحالتين ، أيهما أهدى والمراد بها توبيخ الكفار ، وفى معناها قولان : أحدهما أن المشى هنا استعارة فى سلوك طريق الهدى والضلال فى الدنيا ، والآخر أنه حقيقة فى المشى فى الآخرة لأن الكافر يحمل على المشى إلى جهنم على وجهه فأما على القول الأول فقيل إن الذى يمشى مكبا أبو جهل والذى يمشى سويا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل حمزة وقيل هى على العموم فى كل مؤمن وكافر ، وقد تمشى هذه الأقوال أيضا على الثانى ، والمكب هو الذى يقع على وجهه يقال أكب الرجل وكبه غيره فالمعدى دون همزة والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال (ويقولون متى هذا الوعد) الضمير للكفار والوعد يراد به البعث أو عذابهم فى الدنيا (فلما رأوه) ضمير الفاعل للكفار وضمير المفعول للعذاب الذى يتضمنه الوعد (زلفة) أى قريبا وقيل عيانا (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ظهر فيها السوء لما حل بها (وقيل هذا الذى كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تطلبون وتستعجلون به والقائلون لذلك الملائكة أو يقال لهم بلسان الحال (قل أرأيتم إن أهلكنى الله) الآية سببها أن الكفار كانوا يتمنون هلاك النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين فأمره الله أن يقول لهم إن أهلكنى الله وأهلك من معى أو رحمنا فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال والهلاك هنا يحتمل أن يراد به الموت أو غيره ومعنى من يجير الكافرين من عذاب أليم : من يمنعهم من العذاب (قل أرأيتم إن أصبح

## سـورة القلم

مكية إلا من آية ١٧ إلى غاية آية ٣٣ ومن آية ٤٨ إلى غاية آية ٥٠ فمدنية وآياتها ٥٢ نزلت بعد العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۞ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۞ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۞ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۞ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۞ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ۞ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ

---

ماؤكم غورا) الآية احتجاج على المشركين والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غاير أى ذاهب فى الأرض والمعين الكثير واختلف هل وزنه فعيل أو مفعول فالمعنى إن غار ماؤكم الذى تشربون هل يأتيكم غير الله بماء معين

## سـورة القلم

(ن) حرف من حروف الهجاء وقد تقدم الكلام عليها فى البقرة ويختص ن بأنه قيل إنه حرف من الرحمن فإن حروف الرحمن ألف ولام وراء وحاء وميم ون وقيل إن نون هنا يراد به الحوت وزعموا أنه الحوت الأعظم الذى عليه الأرضون السبعة وهذا لا يصح على أن نون بمعنى الحوت معروف فى اللغة ومنه ذو النون وقيل إن نون هنا يراد به الدواة وهذا غير معروف فى اللغة ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض ولكان فى آخره تنوين فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء نحو ألم وغيره من حروف الهجاء الموقوفة (والقلم ومايسطرون) اختلف فيه على قولين أحدهما أنه القلم الذى كتب به اللوح المحفوظ فالضمير فى يسطرون للملائكة والآخر أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم والضمير فى يسطرون على هذا لبنى آدم (ماأنت بنعمة ربك بمجنون) هذا جواب القسم وهو خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم معناه نفى نسبة الكفار له من الجنون وبنعمة ربك اعتراض بين ماوخبرها كما تقول أنت بحول الله أفضل والمجرور فى موضع الحال وقال الزمخشرى إن العامل فيه بمجنون (غير ممنون) ذكر فى فصلت (وإنك لعلى خلق عظيم) هذا ثناء على خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القرآن تعنى التأدب بآدابه وامتثال أوامره وعبر ابن عباس عن الخلق بالدين والشرع وذلك رأس الخلق وتفصيل ذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة ، فمن ذلك شرف النسب ووفور العقل وصحة الفهم وكثرة العلم وشدة الحياء وكثرة العبادة والسخاء والصدق والشجاعة والصبر والشكر والمروءة والتودد والاقتصاد والزهد والتواضع والشفقة والعدل والعفو وكظم الغيظ وصلة الرحم وحسن المعاشرة وحسن التدبير وفصاحة اللسان وقوة الحواس وحسن الصورة وغير ذلك حسبما ورد فى أخباره وسيره صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وقال الجنيد سمى خلقه عظيما لأنه لم تكن له همة سوى الله عز وجل (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) قيل إن المفتون هنا بمعنى المجنون ويحتمل غير ذلك من معانى الفتنة والخطاب فى قوله فستبصر للنبى صلى الله عليه وسلم وفى قوله ويبصرون لكفار قريش واختلف فى الباء التى فى قوله بأيكم على أربعة أقوال الأول أنها زائدة ، الثانى أنها غير زائدة والمعنى بأيكم الفتنة فأوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم ماله معقول أى عقل ، الثالث أن الباء بمعنى فى والمعنى فى أى

عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ۝ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا

---

فريق منكم المفتون واستحسن ابن عطية هذا ، الرابع أن المعنى بأيكم فتنة المفتون ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ( ودوا لو تدهن فيدهنون ) المداهنة هى الملاينة والمداراة فيما لا ينبغى ، وروى أن الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك فنزلت الآية ولم ينتصب فيدهنون فى جواب التمنى بل رفعه بالعطف على تدهن قاله ابن عطية وقال الزمخشرى هو خبر مبتدأ محذوف تقديره فهم يدهنون (حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل (مهين) هو الضعيف الرأى والعقل قال ابن عطية هو من مهن إذا ضعف فالميم فاء الفعل ، وقال الزمخشرى هو من المهانة وهى الذلة والحقارة وقال ابن عباس المهين الكذاب ( همار ) هو الذى يعيب الناس (مشاء بنميم) أى كثير المشى بالنميمة يقال نمم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام (مناع للخير) أى شحيح لأن الخير هنا هو المال وقيل معناه مناع من الخير أى يمنع الناس من الإسلام ، والعمل الصالح (معتد ) هو من العدوان وهو الظلم (أثيم) من الإثم وهو ارتكاب المحرمات (عتل) أى غليظ الجسم قاسى القلب بعيد الفهم كثير الجهل (زنيم) أى ولد زنا ؛ وقيل هو الذى فى عنقه زنمة كزنمة الشاة التى تعلق فى حلقها ، وقيل معناه مريب قبيح الأفعال وقيل ظلوم ، وقيل لئيم وقوله بعد ذلك أى بعد ما ذكرنا من عيوبه ، فهذا الترتيب فى الوصف لا فى الزمان واختلف فى الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة ، فقيل لم يقصد بها شخص معين بل كل من اتصف بها وقيل المقصود بها الوليد بن المغيرة لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين ، وكذلك كان ، وقيل أبو جهل وقيل الأخنس بن شريق ويؤيد هذا أنه كانت له زنمة فى عنقه ، قال ابن عباس عرفناه بزنمته وكان لقيط من ثقيف ويعد فى بنى زهرة فيصح وصفه بزنيم على القولين ، وقيل الأسود بن عبد يغوث (أن كان ذا مال وبنين) فى موضع مفعول من أجله يتعلق بقوله لا تطع أى لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه ، ويجوز أن يتعلق بما بعده ، والمعنى على هذا أنه قال فى القرآن أساطير الأولين ، لأنه ذو مال وبنين يتكبر بماله وبنيه والعامل فى أن كان على هذا فعل من المعنى ولا يجوز أن يعمل فيه قال الذى هو جواب إذا لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله والأول أظهر وقد تقدم معنى أساطير الأولين (سنسمه على الخرطوم) أصل الخرطوم أنف السبع ثم استعير للإنسان استخفافا به وتقبيحا له والمعنى نجعل له سمة وهى العلامة على خرطومه ، واختلف فى هذه السمة قيل هى الضربة بالسيف يوم بدر ، وقيل علامة من نار تجعل على أنفه فى جهنم وقيل علامة تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) أى بلونا قريشا كما بلونا أصحاب الجنة وكانوا إخوة من بنى إسرائيل لهم جنة ، روى أنها بمقربة من صنعاء فخلفوا أن لا يعطوا مسكيناً منها شيئاً وباتوا عازمين على ذلك ، فأرسل الله على جنتهم طائفا من نار فأحرقتها فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطؤا الطريق ثم تبينوها فعرفوها وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ *
فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا
الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ *
قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ *
كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ

---

فندموا وتابوا إلى الله ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك فعاقبهم الله كما عاقبهم وقيل شبه قريشا لما أصابهم الجوع بشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أى حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح وكانت الغلة ثمرا (ولا يستثنون) فى معناه ثلاثة أقوال أحدها لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمنها والآخر لا يستثنون شيأ من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم والثالث لا يتوقفون فى رأيهم ولا ينتهوا عنه أى لا يرجعون عنه (فطاف عليهم طائف) قال الفراء الطائف الأمر الذى يأتى بالليل (فأصبحت كالصريم) فيه أربعة أقوال الأول أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها والصريم فى اللغة الليل الثانى أصبحت كالنهار لأنها ابيضت كالحصيد ويقال صريم لليل والنهار الثالث أن الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب الرابع أصبحت كالمصرومة أى المقطوعة (فتنادوا مصبحين) أى نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا وقال بعضهم لبعض (اغدوا على حرثكم) أى جنتكم (إن كنتم صارمين) أى حاصدين لثمرتها (يتخافتون) يكلم بعضهم بعضا فى السر ويقولون (لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) وأن فى قوله أن اغدوا وأن لا يدخلنها حرف عبارة وتفسير (وغدوا على حرد قادرين) فى الحرد أربعة أقوال الأول أنه المنع الثانى أنه القصد الثالث أنه الغضب الرابع أن الحرد اسم للجنة وقادرين يحتمل أن يكون من القدرة أى قادرين فى زعمهم أو من التقدير بمعنى التضييق أى ضيقوا على المساكين (إنا لضالون) أى أخطأنا طريق الجنة قالوا ذلك لما لم يعرفوها فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا (بل نحن محرومون) أى حرمنا الله خيرها (قال أوسطهم) أى خيرهم وأفضلهم ومنه أمة وسطا أى خيارا (لولا تسبحون) أى تقولون سبحان الله وقيل هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه وقيل أراد الاستثناء فى اليمين كقولهم إن شاء الله والأول أظهر لقولهم بعد ذلك سبحان ربنا والمعنى أن هذا الذى هو أفضلهم كان قد حضهم على التسبيح (يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله ألم أقل لكم لولا تسبحون (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) يحتمل أنهم طلبوا البدل فى الدنيا أو فى الآخرة والأول أرجح لأنه روى عن ابن مسعود أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا (كذلك العذاب) أى مثل

الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ۝ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ۝
أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ۝ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ۝ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ۝ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝
خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ۝ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا
الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ۝ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ

---

هذا العذاب الذى ينزل بأهل الجنة ينزل بقريش (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) الهمزة للإنكار أى كيف يسوى الله بين المسلمين والمجرمين بل يجازى كل أحد بعمله والمراد بالمجرمين هنا الكفار (مالكم) توبيخ للكفار وما مبتدأ ولكم خبره وتم الكلام هنا فينبغى أن يوقف عليه (كيف تحكمون) توبيخ آخر أى كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم (إن لكم فيه لما تخيرون) هذه الجملة معمول تدرسون وكان أصل إن الفتح وكسرت لأجل اللام التى فى خبرها وتخيرون معناه تختارون لأنفسكم ومعنى الآية هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون) المعنى هل حلفنا لكم أيمانا أن لكم ما تحكمون ومعنى بالغة ثابتة واصلة إلى يوم القيامة ، وقوله إن لكم هو جواب القسم الذى يقتضيه الأيمان ولذلك أكده بإن واللام وما تحكمون هو اسم إن دخلت عليه اللام المؤكدة (سلهم أيهم بذلك زعيم) أى يا محمد اسأل قريشا أيهم زعيم بهذه الأمور ، والزعيم هو الضامن الأمر القائم به (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم) هذا تعجيز للكفار ، ومعناه إن كان لكم شركاء يقدرون على شىء فأتوا بهم ، واختلف هل قوله فليأتوا بهم فى الدنيا ، أى أحضروهم حتى يرى حالهم أو يقال لهم ذلك يوم القيامة : والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها وقال الزمخشرى معناه أم لكم ناس يشاركونكم فى هذا القول ، ويوافقونكم عليه فأتوا بهم يعنى أنهم لا يوافقهم أحد عليه ، والأول أظهر (يوم يكشف عن ساق) قال المتأولون ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته ، وفى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينادى مناد يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس ويتبع القمر من كان يعبد القمر ويتبع كل أحد ما كان يعبد ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم فيقال لهم ما شأنكم فيقولون ننتظر ربنا قال فيجيئهم الله فى غير الصورة التى عرفوه فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ، قال فيقول أتعرفونه بعلامة ترونها فيقولون نعم فيكشف لهم عن ساق فيقولون نعم أنت ربنا ويخرون للسجود فيسجد كل مؤمن وترجع أصلاب المنافقين عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا وتأويل الحديث كتأويل الآية (ويدعون إلى السجود) تفسيره فى الحديث الذى ذكرنا ، فإن قيل كيف يدعون فى الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف ؟ فالجواب : أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود فى الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) أى قد كانوا فى الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون فى أعضائهم قادرون عليه (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) تهديد للمكذبين بالقرآن وإعراب من يكذب مفعول

مُثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ *

## سورة الحاقة

مكية وآياتها ٥٢ نزلت بعد الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ

---

معه أو معطوف ، وقد ذكرنا فى الأعراف سنستدرجهم وما بعده (أم تسألهم أجرا) معناه أنت لا تسألهم أجرة على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم فى تركهم الإسلام ، وقد فسرتا هذا وما بعده فى الطور (فاصبر) يقتضى مسالمة للكفار ، نسخت بالسيف (ولا تكن كصاحب الحوت) هو يونس عليه السلام وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه وهو أيضا ذو النون والنون هو الحوت ، وقد ذكرنا قصته فى الأنبياء والصافات ، فنهى الله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله فى الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبا ، وروى أن هذه الآية نزلت لما هم النبى صلى الله عليه وسلم أن يدعو على الكفار (إذ نادى وهو مكظوم) هذا آخر ما جرى ليونس ونداؤه هو قوله فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، والمكظوم الشديد الحزن (لنبذ بالعراء وهو مذموم) هو جواب لولا والمنفى هو الذم لا نبذه بالعراء فإنه قد قال فى الصافات فنبذناه بالعراء فالمعنى لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم لكنه نبذ وهو غير مذموم وقد ذكرنا العراء فى الصافات (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) عبارة عن شدة عداوتهم وإن مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام وليزلقونك معناه يهلكونك كقولك نظر فلان إلى عدوه نظرة كاد يصرعه وأصله من زلق القدم ، وقرئ بفتح الياء وضمها وهما لغتان وقيل إن المعنى يأخذونه بالعين وكان ذلك فى بنى أسد كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شىء إلا أصابه بالعين فأراد بعضهم أن يصيب النبى صلى الله عليه وسلم فعصمه الله من ذلك ، وقال الحسن دواه من أصيب بالعين قراءة هذه الآية (وما هو إلا ذكر للعالمين) يعنى القرآن أو هو موعظة وتذكير للخلق

## سورة الحاقة

(الحاقة) هى القيامة ووزنها فاعلة وسميت الحاقة لأنها تحق أى يصح وجودها ، ولا ريب فى وقوعها ولأنها حقت لكل أحد جزاء عمله أو لأنها تبدئ حقائق الأمور (ما الحاقة) ما استفهامية يراد بها التعظيم وهى مبتدأ وخبرها ما بعده والجملة خبر الحاقة ، وكان الأصل الحاقة ما هى ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة فى التعظيم والتهويل ، وكذلك وما أدراك ما الحاقة لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتهويل (بالقارعة)

أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ۞ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۞ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ۞ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ۝ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۞ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ

---

هى القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها ( بالطاغية ) يعنى الصيحة التى أخذت ثمود وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد فى الشدة ، وقيل الطاغية مصدر فكأنه قال أهلكوا بطغيانهم ، فهو كقوله كذبت ثمود بطغواها وقيل هى صفة لمحذوف تقديره أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية أو الفئة الطاغية والباء على هذين القولين سببية وعلى القول الأول كقولك قتلت زيدا بالسيف (بريح صرصر عاتية) ذكر فى فصلت ، وعاتية أى شديدة وسميت بذلك لأنها عتت على عاد ، وقيل عتت على خزانها فخرجت بغير إذنهم ( سخرها عليهم سبع ليال ) روى أنها بدت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر (حسوما ) قال ابن عباس معناه كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك ، وقيل معناه شؤما وقيل هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع أى قطعتهم بالإهلاك فحسوما على القول الأول والثانى مصدر فى موضع الحال ، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله (فترى القوم فيها صرعى) جمع صريع وهو المطروح بالأرض ، والضمير المجرور يعود على منازلهم لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها أو على الأيام والليالى ، أو على الريح ( كأنهم أعجاز نخل خاوية) تقدم فى القمر معنى تشبيههم بأعجاز النخل ، والخاوية هى التى خلت من طول بلائها وفسادها (من باقية) أى من بقية ، وقيل من فئة باقية وقيل إنه مصدر بمعنى البقاء (ومن قبله) يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة وأقربهم إليه قوم شعيب ، والظاهر أنهم المراد لأن عادا وثمود قد ذكرا وقوم لوط هم المؤتفكات وقوم نوح قد أشير إليهم فى قوله لما طغى الماء حملناكم فى الجارية ، وقرئ بكسر القاف وفتح الباء ومعناه جنده وأتباعه ( بالخاطئة) إما أن يكون مصدرا بمعنى الخطيئة أو صفة لمحذوف تقديره بالفعلة الخاطئة (فعصوا رسول ربهم) إن عاد الضمير على فرعون وقومه ، فالرسول موسى عليه السلام ، وإن عاد على المؤتفكات : فالرسول لوط عليه السلام ، وإن عاد على الجميع : فالرسول اسم جنس أو بمعنى الرسالة (رابية) أى عظيمة وهى من قولك ربا الشىء إذا كثر (طغى الماء) عبارة عن كثرته ، فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض أو على خزانه يعنى وقت طوفان نوح عليه السلام ( حملناكم فى الجارية ) هى السفينة ، فإن أراد سفينة نوح فمعنى حملناكم حملنا آباءكم لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه فى السفينة ، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته (لنجعلها لكم تذكرة) الضمير للفعلة وهى الحمل فى السفينة وقيل للسفينة ، فإن أراد جنس السفن : فالمعنى أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركب أو سمع بها وإن أراد سفينة نوح فقد قيل إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيدانها أول هذه الأمة ( وتعيها أذن واعية ) الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها ، وهذا يقوى أن يكون للفعلة ، والأذن الواعية هى التى تفهم ما تسمع وتحفظه ، يقال وعيت العلم إذا حصلته ، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التى عقلت عن الله ، وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب إنى دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علىّ ، قال علىّ فما نسيت

وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۞ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۞ وَانْشَقَّتِ السَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۞ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۞ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۞ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ۞ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۞ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۞ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۞ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۞ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ

---

بعد ذلك شيئاً سمعته ، قال الزمخشرى : إنما قال أذن واعية بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعاة ولتوبيخ الناس بقلة من بقى منهم ، وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهى المعتبرة عند الله دون غيرها (نفخة واحدة) يعنى نفخة الصور وهى الأولى (فدكتا) الضمير للأرض والجبال ، ومعنى دكتا ضرب بعضها ببعض حتى تندق ، وقال الزمخشرى : الدك أبلغ من الدق ، وقيل معناه بسطت حتى تستوى الأرض والجبال (وقعت الواقعة) أى قامت القيامة ، وقيل وقعت صخرة بيت المقدس وهذا ضعيف (واهية) أى مسترخية ساقطة القوة ، ومنه قولهم دار واهية أى ضعيفة الجدران (والملك على أرجائها) الملك هنا اسم جنس والأرجاء الجوانب واحدها رجا مقصور ، والضمير يعود على السماء ، والمعنى أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جواب السماء لأنها إذا وهيت وقفوا على أطرافها ، وقيل يعود على الأرض لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها ، وروى فى ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفا على جوانب الأرض والأول أظهر وأشهر (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ) قال ابن عباس هى ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم وقيل ثمانية أملاك رؤسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة ، ويؤيد هذا ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هو اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم (يومئذ تعرضون) خطاب لجميع العالم والعرض البعث أو الحساب (خافية) أى حال خافية من الأعمال والسرائر ويحتمل المعنى لا يخفى من أجسادهم لأنهم يحشرون حفاة عراة (فأما من أوتى كتابه بيمينه) الكتاب هنا صحائف الأعمال (هاؤم اقرؤا كتابيه) هاؤم اسم فعل ، قال ابن عطية معناه تعالوا وقال الزمخشرى هو صوت يفهم منه معنى خذ ، وكتابيه مفعول يطلبه هاؤم واقرؤا من ضمير المعنى تقديره هاؤم كتاب اقرؤا كتابى ثم حذف لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل ، الثانى وهو اقرأوا عند البصريين ، والعامل الأول هو هاؤم عند الكوفيين ، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال اقرؤه ، والهاء فى كتابيه للوقف وكذلك فى حسابيه وماليه وسلطانيه وكان الأصل أن تسقط فى الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف وقد أسقطها فى الوصل بعضهم ، ومعنى الآية أن العبد الذى يعطى كتابه بيمينه يقول للناس اقرأوا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه ( إنى ظننت ) الظن هنا بمعنى اليقين (راضية) أى ذات رضا كقولهم تامر لصاحب التمر قال ابن عطية ليست بياء اسم فاعل ، وقال الزمخشرى يجوز أن يكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازا وهو لصاحبها حقيقة ( قطوفها) جمع قطف وهو ما يجتنى من الثمار ويقطف كالعنقود (دانية) أى قريبة ، وروى أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أى حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع (أسلفتم) أى قدمتم من الأعمال الصالحة (فى الأيام الخالية) أى الماضية يعنى أيام الدنيا (وأما من أوتى كتابه

يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۞ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۞ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۞ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۞ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۞ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۞ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا

---

بشماله) هم الكفار بدليل قوله إنه كان لا يؤمن بالله العظيم فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم ، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم ، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم ، هل يعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها ؟ وهذا أرجح لقوله هاؤم اقرأوا كتابيه لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى النار (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) أى يتمنى أنه لم يعط كتابه وقال ابن عطية يتمنى أن يكون معدوما لا يجرى عليه شىء والأول أظهر (ياليتها كانت القاضية) أى ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء (ما أغنى عنى ماليه) يحتمل أن يكون نفيا أو استفهاما يراد به النفى (هلك عنى سلطانيه) أى زال عنى ملكى وقدرتى وقيل ذهبت عنى حجتى (خذوه) خطاب للزبانية يقوله لهم الله تعالى أو الملائكة بأمر الله (فغلوه) أى اجعلوا غلا فى عنقه ؛ وروى أنها نزلت فى أبى جهل (ذرعها سبعون ذراعا) معنى ذرعها أى طولها ، واختلف فى هذا الذراع فقيل إنه الذراع المعروف ، وقيل بذراع الملك وقيل فى الذراع سبعون باعا ، كل باع ما بين مكة والكوفة ولله در الحسن البصرى فى قوله الله أعلم بأى ذراع هى ، جعلها سبعين ذراعا لإرداة وصفها بالطول فإن السبعين من الأعداد التى تقصد بها العرب التكثير ، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعلبى ذلك (فاسلكوه) أى أدخلوه ، وروى أن هذه السلسلة تدخل فى فم الكافر وتخرج من دبره ، فاسلكوه على هذا من المقلوب فى المعنى كقولهم أدخلت القلنسوة فى رأسى وروى أنها تلتوى عليه حتى تعمه وتضغطه فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها ، وإنما قدم قوله فى سلسلة على اسلكوه لإرادة الحصر أى لا تسلكوه إلا فى هذه السلسلة وكذلك قدم الجحيم على صلوه لإرادة الحصر أيضا (طعام المسكين) يحتمل أنه أراد إطعام مسكين فوضع الاسم موضع المضمر أو يقدر لا يحض على بذل طعام المسكين وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة ووصفه وبأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى ، وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها ، لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله (فليس له اليوم هاهنا حميم) فيه قولان : أحدهما : ليس له صديق والآخر ليس له شراب (ولا طعام إلا من غسلين) فإن الحميم الماء الحار ، والغسلين صديد أهل النار عند ابن عباس وقيل شجر يأكله أهل النار ، وقال اللغويون هو ما يجرى من الجراح إذا غسلت وهو فعلين من الغسل (الخاطئون) جمع خاطئ وهو الذى يفعل ضد الصواب متعمدا والمخطئ الذى يفعله بغير تعمد (فلا أقسم) لا زائدة غير نافية (عما تبصرون ومالا تبصرون) بعنى جميع الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر كالدنيا والآخرة والإنس والجن والأجسام والأرواح وغير ذلك (إنه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم والضمير للقرآن والرسول الكريم جبريل وقيل لمحمد عليه الصلاة والسلام (قليلا ما تؤمنون) قال ابن عطية يحتمل أن تكون ما نافية ، فنفى إيمانهم بالجملة

مَّا تُؤْمِنُونَ ۞ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۞ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۞ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ۞ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ *

## سورة المعارج

مكية وآياتها ٤٤ نزلت بعد الحاقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۞ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۞ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۞

---

أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلة ، وقال الزمخشرى القلة هنا بمعنى العدم ، أى لا تؤمنون ولا تذكرون ألبتة (ولو تقول علينا بعض الأقاويل) التقول هو أن ينسب إلى أحد مالم يقل ، ومعنى الآية لو تقول علينا محمد لعاقبناه ، ففى ذلك برهان على أن القرآن من عند الله (لأخذنا منه باليمين) قال ابن عباس اليمين هنا القوة ومعناه لو تقول علينا لأخذناه بقوتنا وقيل هى عبارة عن الهوان كما يقال لمن يسجن أخذ بيده وبيمينه ، قال الزمخشرى معناه لو تقول علينا لقتلناه ، ثم صور صورة القتل ليكون أهول ، وعبر عن ذلك بقوله : لأخذنا منه باليمين لأن السياف إذا أراد أن يضرب المقتول فى جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف (الوتين) نياط القلب ، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه ، فالمعنى لقتلناه (فما منكم من أحد عنه حاجزين) الحاجز المانع ، والمعنى لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه وإنما جمع حاجزين لأن أحد فى معنى الجماعة (وإنه لتذكرة) الضمير للقرآن وقيل لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والأول أظهر (وإنه لحسرة على الكافرين) أى حسرة عليهم فى الآخرة ، لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين (وإنه لحق اليقين) قال الكوفيون هذا من إضافة الشىء إلى نفسه ، كقولك : مسجد الجامع ، وقال الزمخشرى المعنى عين اليقين ومحض اليقين ، وقال ابن عطية ذهب الحذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه : —

## سورة المعارج

(سأل سائل بعذاب واقع) من قرأ سائل بالهمز احتمل معنيين أحدهما أن يكون بمعنى الدعاء أى دعا داع بعذاب واقع ، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفار أمطر علينا حجارة من السماء وكان الذى قالها النضر بن الحرث ، والآخر أن يكون بمعنى الاستخبار أى سأل سائل عن عذاب واقع ، والباء على هذا بمعنى عن وتكون الإشارة إلى قوله متى هذا الوعد وغير ذلك ، وأما من قرأ سال بغير همز فيحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون مخففا من المهموز ، فيكون فيه المعنيان المذكوران ، والثانى أن يكون من سال السيل إذا جرى ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس سال سيل ، وتكون الباء على هذا كقولك ذهبت بزيد وإذا كان من السيل احتمل وجهين : أحدهما أن يكون شبه العذاب فى شدته وسرعة وقوعه بالسيل وثانيهما أن تكون حقيقة قال زيد بن ثابت فى جهنم واد يقال له سائل فتلخص من هذا أن فى القراءة بالهمز يحتمل معنيين وفى القراءة بغير همز أربعة معان (للكافرين) يحتمل أن يتعلق بواقع

تَعْرُجُ الْمَلَـٰٓئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝ يُبَصَّرُونَهُمْ

---

وتكون اللام بمعنى على أو تكون صفة للعذاب أو يتعلق بسأل إذا كانت بمعنى دعا أى دعا للكافرين بعذاب أو تكون مستأنفا كأنه قال هو للكافرين (من الله) يحتمل أن يتعلق بواقع أى واقع من عند الله أو بدافع أى ليس له دافع من عند الله أو يكون صفة للعذاب أو مستأنفا (ذى المعارج) جمع معرج وهو المصعد إلي علو كالسلم والمدارج التى يرتقى بها قال ابن عطية هى هنا مستعارة فى الفضائل والصفات الحميدة وقيل هى المراقى إلى السماء وهذا أظهر لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة (والروح إليه) أى إلى عرشه ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه فالعروج هو من الأرض إلى العرش والروح هنا جبريل عليه السلام بدليل قوله نزل به الروح الأمين على قلبك وقيل الروح ملائكة حفظة على الملائكة وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل وقيل الروح جنس أرواح الناس وغيرهم (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) اختلف فى هذا اليوم على قولين: أحدهما أنه يوم القيامة والآخر أنه فى الدنيا والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث مانع الزكاة مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد يعنى يوم القيامة ثم اختلف هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة وهذا هو الأظهر أو هل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم وإذا قلنا إنه فى الدنيا فالمعنى أن الملائكة والروح يعرجون فى يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا فى خمسين ألف سنة وقيل الخمسون ألف سنة هى مدة الدنيا والملائكة تعرج وتنزل فى هذه المرة وهذا كله على أن يكون قوله فى يوم يتعلق بتعرج ويحتمل أن يكون فى يوم صفة للعذاب فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة والمعنى على هذا مستقيم (فاصبر) هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره أى اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة فى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم (إنهم يرونه بعيدا) يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذى مقداره خمسين ألف سنة والبعيد يحتمل أن يراد به بعد الزمان أو بعد الإمكان وكذلك القرب يحتمل أن يراد به قرب الزمان لأن كل آت قريب ولأن الساعة قد قربت وقرب الإمكان لقدرة الله عليه (يوم تكون السماء كالمهل) يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أو بدل من الضمير المنصوب فى نراه أو منصوب بقوله قريبا أو بقوله يود المجرم أو بفعل مضمر تقديره اذكر والمهل هو دردى الزيت شبه السماء به فى سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة وقيل هو ما أذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به فى تلونه (وتكون الجبال كالعهن) العهن هو الصوف شبه الجبال به فى انتفاشه وتخلخل أجزائه وقيل هو الصوف المصبوغ ألواناً فيكون التشبيه فى الانتفاش وفى اختلاف الألوان لأن الجبال منها بيض وسود وحمر (ولا يسأل حميم حميما) الحميم هنا الصديق والمعنى لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إعانة لعلمه أنه لا يقدر له على شىء، وقيل لا يسأله عن حاله لأن كل أحد مشغول بنفسه (يبصرونهم) يقال بصر الرجل بالرجل إذا رآه وبصرته إياه بالتشديد إذا أريته إياه والضميران يعودان على الحميمين لأنهما فى معنى الجمع، والمعنى أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكنه لا يسأله

يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۝ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ۝ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ۝ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ
هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝
وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۝ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ
رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۝ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
رَاعُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ۝

---

(وصاحبته) يعنى امرأته (وفصيلته) يعنى القرابة الأقربين (تؤويه) أى تضمه فيحتمل أن يريد تضمه فى الانتماء إليها أو فى نصرته وحفظه من المضرات (ثم ينجيه) الفاعل الافتداء الذى يقتضيه لو يفتدى وهذا الفعل معطوف على لو يفتدى وإنما عطفه بثم إشعاراً ببعد النجاة وامتناعها ولذلك زجره عن ذلك بقوله (كلا إنها لظى) الضمير للنار لأن العذاب يدل عليها، ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر ولظى علم لجهنم مشتق من اللظى بمعنى اللهب (نزاعة للشوى) الشوى أطراف الجسد وقيل جلد الرأس فالمعنى أن النار تنزعها ثم تعود ونزاعة بالرفع بدل من لظى أو خبر ابتداء مضمر أو خبر لإنها إن جعلنا لظى منصوبا على التخصيص أو بدل من الضمير، أو خبر ثان لإنها إن جلنعا لظى خبر لها ونزاعة بالنصب حال (تدعو من أدبر وتولى) يعنى الكفار الذين تولوا عن الإسلام ودعاؤها لهم عبارة عن أخذها لهم وقال ابن عباس تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقيل معناه تهلك حكاه الخليل عن العرب (وجمع فأوعى) يقال أوعيت المال وغيره اذا جمعته فى وعاء، فالمعنى جمع المال وجعله فى وعاء وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حله ومنعوه من حقه (إن الإنسان خلق هلوعا) الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه، سئل أحمد بن يحيى مؤلف الفصيح عن الهلوع فقال قد فسره الله فلا تفسيراً بين من تفسيره وهو قوله «إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا» وذكره الله على وجه الذم لهذه الخلائق، ولذلك استثنى منه المصلين لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها (الذين هم على صلاتهم دائمون) الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هى أداؤها فى أوقاتها وتوفية الطهارة لها (حق معلوم) قد ذكرنا فى الذاريات معنى حق والسائل والمحروم، ووصفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة فهى معلومة المقدار شرعا وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم أن العبد يجعل على نفسه وظيفه معلومة عنده (غير مأمون) أى لا يكون أحد آمنا منه فإن الأمن من عذاب الله حرام فلا ينبغى للعبد أن يزيل عنه الخوف حتى يدخل الجنة (لأماناتهم وعهدهم) ذكر فى المؤمنين وكذلك لفروجهم حافظون (والذين هم بشهاداتهم قائمون) قال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال الجمهور يعنى الشهادة عند الحكام ثم اختلف على هذا فى

فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ *

---

معنى القيام بها فقيل هو التحقيق لها كقوله صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهدوا وقيل هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع فأما إن دعى الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه وأما إذا لم يدع إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام أحدها حقوق الناس ، فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك ، والثانى حقوق الله التى يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والاحباس ، فيجب أداء الشهادة بذلك دعى أو لم يدع الثالث حقوق الله التى لا يستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغى ستره ، حتى يدعى إليه (فمال الذين كفروا قبلك مهطعين) أى مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته ، ومعنى قبلك فى جهتك وما يليك (عزين) أى جماعات شتى وهو جمع عزة بتخفيف الزاى وأصله عزوة ، وقيل عزهة ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضا من اللام المحذوفة (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم) كانوا يقولون إن كان ثم جنة فنحن أهلها (كلا) ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة (إنا خلقناهم مما يعلمون) كناية عن المنى الذى خلق الإنسان منه ، وفى المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه أحدها : تحقير الإنسان والرد على المتكبرين كما قال بعضهم إن الإنسان خلق من نطفة مذرة ويصير جيفة قذرة وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، الثانى الرد على الكفار فى طمعهم أن يدخلوا الجنة كأنه يقول إنا خلقنا كم مما خلقنا منه الناس ، فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح لأنكم سواء فى الخلقة ، الثالث الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين فهو قادر على أن يعيدهم كقوله ألم يك نطفة من منى يمنى إلى آخر السورة (فلا أقسم) معناه أقسم ولا زائدة (برب المشارق والمغارب) ذكر فى الصافات (إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال خير منهم (وما نحن بمسبوقين) أى مغلوبين والمعنى إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث (فذرهم) وعيد لهم وفيه مهادنة منسوخة بالسيف (يومهم الذى يوعدون) يعنى يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه (يوم يخرجون من الأجداث) وهى القبور (كأنهم إلى نصب يوفضون) النصب الأصنام ، وأصله كل ما نصب إلى الإنسان فهو يقصد إليه مسرعا من علم أو بناء أو غير ذلك وفيه لغات فتح النون وإسكان الصاد وضم النون وإسكان الصاد وضمها ويوفضون معناه يسرعون والمعنى أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشى إلى أصنامهم فى الدنيا

# سورة نوح

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد النحل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۞ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ

## سورة نوح عليه السلام

(أن أنذر) و (أن اعبدوا) يحتمل أن تكون أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن أنذر وبأن اعبدوا والأول أظهر (عذاب أليم) يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذى أصابهم (يغفر لكم من ذنوبكم) من هنا للتبعيض أى يغفر لكم مافعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا لأن الإسلام يجبّ ماقبله ولم يضمن أن يغفر لهم مابعد إسلامهم ، لأن ذلك فى مشيئة الله تعالى وقيل إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن من لاتزاد عند سيبويه إلا فى غير الواجب وقيل هى لبيان الجنس وقيل لابتداء الغاية وهذان القولان ضعيفان فى المعنى والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه (ويؤخركم إلى أجل مسمى) ظاهر هذا يقتضى أنهم إن فعلوا ماأمروا به أخروا إلى أجل مسمى وإن لم يفعلوا لم يؤخروا وذلك يقتضى القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة وعلى هذا حملها الزمخشرى ، وأما على مذهب أهل السنة فهى من المشكلات وتأولها ابن عطية فقال ليس للمعتزلة فى الآية مجال لأن المعنى أن نوحا عليه الصلاة السلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل ولاقال لهم إنكم تؤخرون عن أجل قدحان لكن قد سبق فى الأزل إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير أو ممن قضى له بالكفر والمعاجلة وكان نوحا عليه السلام قال لهم آمنوا يظهر فى الوجود أنكم ممن قضى له بالإيمان والتأخير وإن بقيتم على كفركم يظهر فى الوجود أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة فكان الاحتمال الذى يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة وأما عند الله فالحال الذى يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) هذا يقتضى أن الأجل محتوم كما قال تعالى فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وفى هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذى ذكرنا وفيه أيضا رد على المعتزلة فى قولهم بالأجلين ولما كان كذلك قال الزمخشرى إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذى لا يؤخر هو الأجل الثانى وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلا ألف عام وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام فالألف عام هى التى تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هى التى وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا (دعوتهم لتغفر لهم) أى دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة التى هى سبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) فعلوا ذلك لئلا

وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۞ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۞ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۞ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۞ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۞ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا * وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۞ ثُمَّ

---

يسمعوا كلامه فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك (واستغشوا ثيابهم) أى جعلوها غشاوة عليهم لئلا سمعوا كلامه أولئلا يراهم ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أويكون عبارة عن إعراضهم (وأصروا) أى داوموا على كفرهم (دعوتهم جهارا) إعراب جهارا مصدر من المعنى كقولك قعد القرفصاء أو صفة لمصدر محذوف تقديره دعا جهارا أو مصدر فى موضع الحال أى مجاهرا (ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا) ذكر أولا أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار ، وهذه غاية الجد فى النصيحة وتبليغ الرسالة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال ابن عطية الجهار دعاؤهم فى المحافل ومواضع اجتماعهم ، والإسرار دعاء كل واحد على حدته (يرسل السماء عليكم مدرارا) مفعول من الدر وهو كثرة الماء، وفى الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار ولذلك خرج عمر بن الخطاب إلى الاستسقاء فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف فقيل له مارأيناك استسقيت فقال والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء ثم نزل المطر وشكا رجل إلى الحسن الجدب فقال له استغفر الله (مالكم لاترجون لله وقارا) فيه أربع تأويلات : أحدها أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة فالمعنى مالكم لاترجون أن يوقركم الله فى دار ثوابه قال ذلك الزمخشرى وقوله لله على هذا بيان للموقر ولو تأخر لكان صفة لوقارا . والثانى أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت والمعنى مالكم لاترجون لله وقارا متثبتين حتى تتمكنون من النظر بوقاركم وقوله لله على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك ضربت لزيد وإعراب وقارا على هذا مصدر فى موضع الحال ، الثالث : أن الرجاء هنا بمعنى الخوف والوقار بمعنى العظمة والسلطان فالمعنى مالكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه ولله على هذا صفة للوقار فى المعنى ، الرابع : أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك وقر بالمكان إذا استقر فيه والمعنى مالكم لاتخافون الاستقرار فى دار القرار إما فى الجنة أو النار (وقد خلقكم أطوارا) أى طورا بعد طور ، يعنى أن الإنسان كان نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى سائر أحواله ، وقيل الأطوار الأنواع المختلفة ، فالمعنى أن الناس على أنواع فى ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك (طباقا) ذكر فى الملك (وجعل القمر فيهن نورا) القمر إنما هو فى السماء الدنيا وساغ أن يقول فيهن لما كان فى إحداهن فهو فى الجميع كقولك ، فلان فى الأندلس ، إذا كان فى بعضها والشمس فى السماء الرابعة وقيل فى الخامسة وجعل القمر نورا والشمس سراجا ، لأن ضوء السراج أقوى من النور فإن السراج هو الذى يضىء فيبصر به والنور قد يكون أقل من ذلك (والله أنبتكم من الأرض نباتا) هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض ونباتا مصدر على غير المصدر أو يكون تقديره أنبتكم فنبتم إنباتا ويحتمل أن يكون منصوبا على الحال (ثم يعيدكم فيها) يعنى بالدفن

يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا * قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا *

---

(ويخرجكم إخراجا) يعنى بالبعث من القبور (والله جعل لكم الأرض بساطا) شبه الأرض بالبساط فى امتدادها واستقرار الناس عليها وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل وفى ذلك نظر (سبلا فجاجا) ذكر فى الأنبياء (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) يعنى اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم وقرئ ولده بفتحتين وولد بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد (ومكروا مكرا كبارا) الكبار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أى وصى بعضهم بعضا بذلك (ولا تذرن ودا ولا سواعا) هذه أسماء أصنامهم ، كان قوم نوح يعبدونها وروى أنها أسماء رجال صالحين كانوا فى صدر الدنيا ، فلما ماتوا صوروهم أهل ذلك العصر من حجارة وقالوا ننظر إليها لنتذكر أعمالهم الصالحة ، فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم من بعدهم لتلك الصور حتى عبدوها من دون الله ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها وقيل بل الأسماء فقط إلى قبائل العرب ، فكان ودا لكلب بدومة الجندل وكان سواع لهذيل وكان يغوث لمراد وكان يعوق لهمذان وكان نسرا لذى الكلاع من حمير وقرئ ودا بفتح الواو وضمها وهما لغتان ( وقد أضلوا كثيرا) الضمير للرؤساء من قوم نوح والمعنى أضلوا كثيرا من أتباعهم وهذا من كلام نوح عليه السلام ، وكذلك لا تزد الظالمين إلا ضلالا من كلامه وهو دعاء عليهم وقال الزمخشرى إنه معطوف على قوله « رب إنهم عصونى » والتقدير قال رب إنهم عصونى وقال « لا تزد الظالمين إلا ضلالا » (مما خطيئاتهم أغرقوا) هذا من كلام الله إخبارا عن أمرهم ، ومازائدة للتأكيد وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضا ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار ، إنما كان بسبب خطاياهم وهى الكفر وسائر المعاصى (فأدخلوا نارا) يعنى جهنم وعبر عن ذلك بالفعل الماضى لأن الأمر محقق وقيل أراد غرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ) ديارا من الأسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما فى الدار ديار أى ما فيها أحد ووزنه فيعال وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وليس وزنه فعال لأنه لو كان كذلك لقيل دوار لأنه مشتق من الدور أو من الدار ، وروى أن نوحا عليه السلام لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم (رب اغفر لى ولوالدى) يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره وكان ولدا نوح عليه السلام مؤمنين قال ابن عباس لم يكن لنوح ابن كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام واسم والد نوح لمك بن متوشلخ وأمه شمخا

# سورة الجن

مكية وآياتها ٢٨ نزلت بعد الأعراف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۞ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۞ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۞ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۞ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۞ وَأَنَّا لَمَسْنَا

---

بنت أنوش ، حكاه الزمخشرى ( ولمن دخل بيتى مؤمنا ) قيل بيته المسجد وقيل السفينة وقيل شريعته سماها بيتا استعارة وهذا بعيد وقيل داره وهذا أرجح لأنه الحقيقة (وللمؤمنين والمؤمنات) هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم ، وفيه دليل على جواز ذلك خلافا لمن قال من المتأخرين أنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم ، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة ، قال بعض العلماء إن الإله الذى استجاب لنوح عليه السلام فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات (تبارا) أى هلاكا والله أعلم

# سورة الجن

(قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) تقدمت فى الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم وأسلموا (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا) أى قال ذلك بعضهم لبعض وعجبا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك عجبت عجبا وقيل هو على حذف مضاف تقديره ذا عجب (وأنه تعالى جد ربنا) جد الله جلاله وعظمته وقيل معناه من قولك فلان مجدود إذا استغنى وقرئ أنه فى هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله وأنا منا المسلمون فأما الكسر فاستئناف أو عطف على إنا سمعنا لكنه كسر فى معمول القول فيكون ما عطف عليه من قول الجن وأما الفتح فقيل إنه عطف على قوله أنه استمع نفر وهذا خطأ من طريق المعنى لأن قوله استمع نفر فى موضع معمول أوحى فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحى وأن لا يكون من كلام الجن وقيل إنه معطوف على الضمير المجرور فى قوله آمنا به وهذا ضعيف لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض وقال الزمخشرى هو معطوف على محل الجار والمجرور فى آمنا به كأنه قال صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وكذلك ما بعده ولا خلاف فى فتح ثلاث مواضع وهى : أنه استمع ، وأن لو استقاموا ، وأن المساجد لله ؛ لأن ذلك مما أوحى لا من كلام الجن (وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا) هذا من كلام الجن وسفيههم أبو هم إبليس ، وقيل هو اسم جنس لكل سفيه منهم واختار ذلك ابن عطية ، والشطط التعدى ومجاوزة الحد (وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) أى ظننا أن الأقوال التى كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب لأنا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن) تفسير هذا ما روى أن العرب كانوا إذا حل أحد منهم بواد صاح بأعلى صوته يا عزيز هذا الوادى إنى أعوذ بك من

السَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۞ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۞ وَأَنَّا مِنَّا الصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۞ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِى الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۞ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۞ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

السفهاء الذين فى طاعتك ويعتقد أن ذلك الجن الذى بالوادى يحميه ( فزادوهم رهقا ) ضمير الفاعل للجن وضمير المفعول للإنس والمعنى أن الجن زادوا الإنس ضلالا وإثما لما عاذوا بهم أوزادوهم تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم ، وقيل ضمير الفاعل للإنس وضمير المفعول للجن والمعنى أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم حتى كان الجن يقول أنا سيد الجن والإنس ( وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا) الضمير فى ظنوا لكفار الإنس وظننتم خطاب الجن بعضهم لبعض ، فالمعنى أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا ، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) هذا إخبار عن ماحدث عند مبعث النبى صلى الله عليه وسلم من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجمهم واللمس المس واستعير هنا للطلب ، والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ، ولذلك وصف بشديد وهو مفرد ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة وكرر الشهب لاختلاف اللفظ (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) المقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة قعود الجن أنهم كانوا واحدا فوق واحد فمتى أحرق الأعلى طلع الذى تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة (فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) الرصد اسم جمع للراصد كالحراس للحارس وقال ابن عطية هو مصدر وصف به ومعناه منتظر قال بعضهم إن رمى الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم واختار ابن عطية والزمخشرى أنه كان قبل المبعث قليلا، ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض ما كنتم تقولون لهذا فى الجاهلية ؟ قالوا كنا نقول ولد ملك أو مات ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الأمر كذلك ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك فى أشعارهم (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن الأرض) الآية : قال ابن عطية معناه لا ندرى أيؤمن الناس بهذا النبى فيرشدوا، أو يكفرون به فينزل بهم الشر؟ وقال الزمخشرى معناه لا ندرى هل أراد الله بأهل الأرض خيرا أو شرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو من توفيق؟ (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أى منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا أو الذين ليس لهم صلاح فإن دون قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير ( كنا طرائق قددا) الطرائق المذاهب والسير وشبهها والقدد المختلفة وهو جمع قدة وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل وهو على حذف مضاف أى كنا ذوى طرائق (وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ) الظن هنا بمعنى العلم ، وقال ابن عطية هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم ( سمعنا الهدى ) يعنون القرآن (فلا

تحرَّوْا رَشَدًا ۞ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۞ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ۞ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۞ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۞ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۞ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۞ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۞ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۞ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ

---

يخاف بخسا ولا رهقا ) البخس النقص والظلم ، والرهق تحمل مالايطاق ، وقال ابن عباس البخس نقص الحسنات ، والرهق الزيادة فى السيئات (ومنا القاسطون) يعنى الظالمين : يقال قسط الرجل إذا جار، وأقسط بالألف إذا عدل وهاهنا انتهى ماحكاه الله من كلام الجن ، وأما قوله فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا يحتمل أن يكون من بقية كلامهم أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذى اختاره ابن عطية ، وأما قوله وأن لو استقاموا فهو من كلام الله باتفاق وليس من كلامهم (تحروا) أى قصدوا الرشد (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ) الماء الغدق الكثير وذلك استعارة فى توسيع الرزق والطريقة هى طريقة الإسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك لوسع الله أرزاقهم فهو كقوله «ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » وقيل هى طريقة الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم فى الدنيا أملاكهم استدراجا ويؤيد هذا قوله «لنفتنهم فيه» والأول أظهر ، والضمير فى استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للقاسطين المذكورين أو لجميع الجن أو للجن الذين سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو لجميع الخلق ( لنفتنهم فيه) إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة ، فمعنى الفتنة الاختبار هل يسلمون أم لا وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج (نسلكه عذابا صعدا) معنى نسلكه ندخله والصعد الشديد المشقة وهو مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة يقال فلان فى صعد أى فى مشقة وقيل صعدا جبل فى النار ( وأن المساجد لله ) أراد المساجد على الإطلاق وهى بيوت عبادة الله ، وروى أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة ، وقيل أراد الأعضاء التى يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهذا بعيد ، وعطف أن المساجد لله على أوحى إلىّ أنه استمع وقال الخليل معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ، أى لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله (وأنه لما قام عبد الله يدعوه) عبد الله هنا محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا وقال الزمخشرى أنه سماه هنا عبد الله ولم يقل الرسول أو النبى لأن هذا واقع فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه لأنه مما أوحى إليه فذكر صلى الله عليه وسلم نفسه على مايقتضيه التواضع والتذلل وهذا الذى قاله بعيد مع أنه إنما يمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة فيكون عطفا على أوحى إلى أنه استمع وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخباراً من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ماقاله (كادوا يكونون عليه لبدا) اللبد الجماعات واحدها لبدة والضمير فى كادوا يحتمل أن يكون للكفار من الناس أى كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره أو يكون للجن الذين استمعوا أى كادوا يجتمعون عليه

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ۝ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝

---

لاستماع القرآن والبركة به ( ملتحدا ) أى ملجأ ( إلا بلاغا) بدل من ملتحدا أى لا أجد منجأ إلا بلاغ الرسالة ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا ( ن الله) قال الزمخشرى هذا الجار والمجرور ليس بصلة البلاغ إنما هو بمعنى بلاغا كائناً من الله ويحتمل عندى أن يكون متعلقا ببلاغا والمعنى بلاغ من الله (ورسالاته) قال الزمخشرى إنه معطوف على بلاغا كأنه قال إلا التبليغ والرسالة ، ويحتمل أن يكون ورسالاته معطوفا على اسم الله (ومن يعص الله ورسوله فإن له نارجهنم خالدين فيها أبداً) جمع خالدين على معنى من يعص لأنه فى معنى الجمع والآية فى الكفار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم فى النار والدليل على أنها فى الكفار وجهان أحدهما أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار والآخر دلالة ماقبلها ومابعدها على أن المراد بها الكفار (حتى اذا رأوا مايوعدون) تعلقت حتى بقوله يكونون عليه لبدا وجعلت غاية لذلك والمعنى أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا مايوعدون قال ذلك الزمخشرى وقال أيضاً يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل لايزالون على ماهم عليه من الكفر حتى إذا رأوا مايوعدون وهذا أظهر (قل إن أدرى أقريب ماتوعدون) إن هنا نافية والمعنى قل لاأدرى أقريب ماتوعدون أم بعيد وعبر عن بعده بقوله أم يجعل له ربى أمدا ويعنى بما توعدون قتلهم يوم بدر أويوم القيامة (فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) أى لايطلع أحدا على علم الغيب إلا من ارتضى وهم الرسل فإنه يطلعهم على ماشاء من ذلك ومن فى قوله من رسول لبيان الجنس لا للتبعيض والرسل هنا يحتمل أن يرادبهم الرسل من الملائكة وعلى هذا حملها ابن عطية أو الرسل من بنى آدم وعلى هذا حملها الزمخشرى واستدل بها على نفى كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم وفيها أيضا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التى يدعى أهلها الاطلاع على الغيب لأنهم ليسوا من الرسل (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) المعنى أن الله يسلك من بين يدى الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصدا يحفظونه من الشياطين وقد ذكرنا رصدا فى هذه السورة قال بعضهم مابعث الله رسولا إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه ( ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ) فى الفاعل بيعلم ثلاثة أقوال : الأول أى ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أى يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل كونه . الثانى ليعلم محمد أن الملائكة الرصد أبلغوا رسالات ربهم . الثالث ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر وجمع الضمير فى أبلغوا وفى ربهم حملا على المعنى لأن من ارتضى من رسول يرادبه جماعة (وأحاط بما لديهم) أى أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع وهذه الجملة معطوفة على قوله ليعلم لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية ويحتمل أن تكون هذه الجملة فى موضع الحال ( وأحصى كل شىء عددا) هذا عموم فى جميع الأشياء وعددا منصوب على الحال أو تمييز أو مصدر من معنى أحصى